هَذِهِ الْكَلِمَةُ

تستحق أن تعيشَ بها ولها

هَذِهِ الكَلِمَةُ

تستحق أن تعيشَ بها ولها

إعداد

محمد أحمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

الأمل
للطبع والتوزيع
ALAMAL

8

تنبيه

هذا الكتيب محاولة لاختصار وتهذيب

أصلهُ: «الكلمة المقدسة» للمؤلف

وليرجع القارئ المكرم إلى الأصل

عند الحاجة إلى تخريج الأحاديث، وعزو

النقول إلى مصادرها.

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على محمد نبيه وعبدِه، وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد،

فإن «لا إله إلا الله» كلمة أمرها عظيم، وخَطْبُهَا جسيم، وشأنها جليل، كلمة على الله كريمة، ولها عنده ـ سبحانه ـ مكان وشأن، أعلاها مُثمر، وأسفلها مُغْدِق[1]، لا توجد في الوجود كلمة أصدق ولا أعظم ولا أطهر ولا أشرفُ منها، وليس في الدنيا ولا في الآخرة كلمة ثبت لها من الفضائل ما ثبت لها، فضائل لا يمكن عَدُّها وحَصْرُها، إذ يترتب عليها من الخير العميم، والأجرِ الجزيل، والثوابِ الجليل، ما لا يسنح بخيال، ولا يخطر على بال.

(١) **الغَدَق**: الماء الغامر الكثير، وأغدق عليه: أفاض عليه.

«لا إلـه إلا الله» كلمة لأجلها خُلِقـت الدنيا والآخرة، والجنة والنار.

وبها قامـت السـماوات والأرض، ولأجلها خُلِقت الخلائـق، قـال ـ تعالـى ـ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: يوحدونـي، ويعرفونـي.

بهـا أخذ الله الميثاق من بني آدمَ فـي عالَم الذَّرِّ، وهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب.

وهـي أول واجـب علـى المكلـف، يتحتـم عليـه استصحابُه إلى أن يفارق الحياة ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمـران: ١٠٢]، وقبـول الأعمـال متوقـف علـى النطق بها، والعمـل بمقتضاها، مـن قالها صادقًا أدخلـه الله بها الجنة، ومن قالها كاذبًـا حَقَنت دمه، وأحرزَتْ ماله، ولقي الله غدًا فحاسبه عليها.

وتحقيقها بإفراد الله ـ تعالى ـ بالعبودية هو حق الله على العبـاد، قال ـ صلى الله عليه وسـلم ـ: «**حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» الحديث [البخاري]

«لا إلـه إلا الله» كلمة الإسـلام، ومفتاح دار السـلام، وعنها يُسـأل الأولون والآخِرون، فلا تـزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجـواب الأولـى ـ بتحقيـق «لا إلـه إلا الله» معرفـةً وإقرارًا وعملًا.

وجـواب الثانيـة ـ بتحقيـق أن «محمـدًا رسـول الله» معرفةً وإقرارًا، وانقيادًا وطاعة.

«لا إلـه إلا الله» تاج الموحِّدين، ونـور أفئدة المتقين، وحصن الأمان، وسـفينة النجاة، كلمةُ الشهادة، ومفتاح دار السعادة.

بـ «لا إله إلا الله» أنزل الله الكتب، وأرسـل الرسـل، وشرع الشرائع.

«لا إله إلا الله» عليها أُسِّسـت الملة، ولأجلها نُصِبت القِبلـة، وفي سـبيلها جُـرِّدت سـيوفُ الجهاد، وبهـا قامت الحجة على العباد.

«لا إلـه إلا الله» أصـل الديـن وأساسـه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فُسطاطه، وبقية أركان الدين متفرعة عنها، متشـعبة منهـا، مكمِّلات لهـا، مقيَّدةٌ بالتـزام معناها، والعمل بمقتضاها.

ومن أجل «لا إله إلا الله» نُصِبت الموازين، ووُضِعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وهي التي فَرَّقتِ الناسَ إلـى مؤمنيـن وكفـار، وميَّزتهـم إلى السـعداءِ أهـلِ الجنة، والأشـقياءِ أهـلِ النـار، وبها تكون السـعادة والشـقاوة، بل لا وصول للسعادة في الدارين إلا بها.

وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاءُ فيها والخلود، بها تؤخذ الكتب باليمين أو الشـمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعنها يُسأل الأولون والآخرون.

ولعظـم معانيها، تعددت أوصافها وأسـاميها، ومع أن شرفها وفضلها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون؛ إلا أننا حاولنا في هذه السـطور استقصاء ما تيَّسر من أساميها الشريفة، وفضائلها المنيفة، كما جاءت

في القرآن المجيد، والسُّنةِ الشريفة، وكلامِ السلف الصالح، فَحَوَتْ فوائد جَمَّة، وفرائد يُعْنى بها ذوو الهمة.

نسأل الله بمنه وكرمه أن يُحيينا عليها، وأن يثبتنا عليها، إلى أن يُميتنا عليها، وأن يحشرنا عليها، ولا يحرمَنا من البركات المكنوزة لديها.

والحمد لله أولًا وآخِرًا، وباطنًا وظاهرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد أحمد إسماعيل المقدم

الإسكندرية في

السبت ١٩ من ربيع الأول ١٤٣٦هـ

الموافق ١٠ من يناير ٢٠١٥م

(١) ركن الإسلام الأعظم

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**بُني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**[(١)]**، وإقامِ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**». [متفق عليه]

فهذه هي الأركان والأعمدة الخمسة للإسلام: تصديق بالله ـ تعالى ـ ووحدانيته، وأنه لا شريك له، وإيمان برسالة رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم أفعال تُصدق هذا الإيمان، وتُؤكد هذه الشهادة هي: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

(١) اعلم ـ وفقك الله ـ أن الشهادتين متلازمتان، فلا تصح الشهادة بأن لا إله إلا الله إلا مع الشهادة بأن محمدًا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولذلك كانت الشهادتان معًا ركنًا واحدًا من أركان الإسلام لا ركنين، ومن شهد بأن لا إله إلا الله، ولم يشرك بالله شيئًا، لكنه لم يشهد بأن محمدًا رسول الله، فهو كافر بالله مخلد في النار، إن مات على ذلك، وإن جاء بعبادة أهل الأرض.

ولقد أجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة «لا إله إلا الله، محمد رسـول الله» هي الركن الأول للإسلام، وعليها تُبنى الأعمال، ولا يُقبل إسلام؛ ولا يصح عملٌ بدونهما.

❊ ❊ ❊

(٢) دِعاية الإسلام

في حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا سفيان ابن حرب ـ رضي الله عنه ـ أخبره أن هرقل دعا بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي بعث به دِحْيَةَ إلى عظِيم بُصرى، فدفعه إلى هِرقل، فقرأهُ، فإذا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من محمدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّوم، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِم تَسْلَم يُؤتِك الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. [متفق عليه]

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قوله: (**بدعاية الإسلام**) بكسر الدال، من قولك: دعا يدعو دِعاية، نحو:

شكا يشكو شِكاية، ولمسلم: (**بداعية الإسلام**) أي: بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والباء موضع (إلى)»اهـ.

فـ«**دعاية الإسلام**» هي دعوته، وهي كلمة الشهادة التي يُدعى إليها أهل الملل الكافرة.

و«**داعية الإسلام**» مصدر بمعنى الدعوة؛ كالعافية والعاقبة.

* * *

(٣) حق الله على العباد

عَـنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَـلٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِـيِّ ـ صلى الله عليه وسـلم ـ عَلَى حِمَـارٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، أَتَـدْرِي مَـا حَـقُّ اللهِ عَلَـى العِبَـادِ[١]، وَمَا حَـقُّ الْعِبَـادِ عَلَى اللهِ؟»[٢] قُلْتُ: الله وَرَسُـولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلَا يُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ. قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا[٣]». [متفق عليه]

---

(١) هو ما يستحقه عليهم، بل هو أوجب الواجبات على العباد.

(٢) حق العباد على الله: معناه أنه متحقق لا محالة، لأنه وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده، قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم:٦].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «كون المطيع يستحق الجزاء هو اسـتحقاقُ إنعـام وفضل، ليس هو اسـتحقاقَ مقابلة، كما يسـتحق المخلوق على المخلَوق» اهـ.
وأهـل السُّـنة يقولـون: هـو الذي كتـب على نفسـه الرحمـة، وأوجب على نفسـه الحـق، ولم يوجبه عليـه مخلوق، وفي الحديث القدسـي: «يا عبادي، إني حرمتُ الظلم على نفسي» الحديث [مسلم]

(٣) أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال.

وقد رُويَ في بعض الآثار الإلهية: «إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيرِي، خَيْرِي إِلَى الْعِبَادِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُمْ إِلَيَّ صَاعِدٌ، أَتَحَبَّبُ إِلَيْهِم بِالنَّعَمِ، وَيَتَبَغَّضُونَ إِلَيَّ بِالمَعَاصِي». [ضعيف]

* * *

(٤) أولُ واجبٍ على المكلَّف

أجمع الصحابة والتابعون، وسائر أئمة الدين، وعلماء أهل السُّنَّة والجماعة ومن وافقهم من الطوائف الأخرى على أن أول واجب على المكلَّف[١] الإقرارُ بشهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله[٢]، مع النطق بهما[٣].

وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها:

حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: **«إنك تقدم على قوم أهلِ كتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله، فإذا عرفوا الله فأخبِرْهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة من**

(١) **المكلَّف**: هو البالغ العاقل.

(٢) وقد توسعت في شرح هذه المسألة في كتابي «الشهادتان أول واجب على كل إنسان».

(٣) فالتلفظ في الشهادة ركن لها، وليس شرطًا فيها، لأنه من حقيقتها وماهيتها، لكنه يسقط عن العاجز كالأخرس، والمعذور.

أموالهم، وتُرد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوقّ كرائم أموال الناس». [متفق عليه]

والمراد بالعبادة ـ هنا ـ النطق بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، كما جاء في الرواية الأخرى مفسَّرًا «**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**». [مسلم]

قال الإمام علي بن أبي العز شارح «الطحاوية» ـ رحمه الله ـ:

«الصحيحُ أنَّ أوَّل وَاجِبٍ يجب على المكلَّفِ شهادةُ أَنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، لا النظرُ، ولا القَصْدُ إلى النظر، ولا الشَّكُّ، كما هي أقوالٌ لأرباب الكلام المذموم، بل أئمةُ السلف كُلُّهم مُتَّفِقُون على أن أوَّلَ ما يُؤْمر به العبدُ الشهادتانِ، ومُتَّفِقُون على أنَّ مَنْ فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عَقِبَ بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بَلَغَ أو ميَّز عند من يرى ذلك، ولم يُوجِبْ أحد منهم على وليِّه أن يُخَاطِبه حينئذٍ بتجديد الشهادتين، وإن كان

الإقرارُ بالشـهادتين واجبًا باتفاق المسلمين، ووجوبهُ يَسْبِقُ وجوبَ الصلاة، لكن هو أدَّى هذا الواجبَ قبلَ ذلك».

* * *

(٥) عاصمة الدم والمال

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟[1] وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]، وقال بعدها: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١].

وقد تواترت الأحاديث عن خمسةَ عشرَ صحابيًّا ـ رضي الله عنهم ـ بألفاظ متقاربة، تُبين أن توبة المشركين التي تعصم أموالهم ودماءهم إنما تكون بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتبين أن من حق هذه الشهادة: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة:

منها: ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**أُمِرتُ أن أقاتل**

(١) أي: من الشرك، بالنطق بالشهادتين.

الناس ـ وفي رواية: (**المشركين**)[1] ـ **حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، واستقبلوا قِبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصَلَّوْا صلاتنا؛ فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم**». [صحيح]

وعن طارق بن أشيم الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**من قال: لا إله إلا الله** ـ وفي رواية: **من وحَّد الله** ـ، **وكفر بما يُعبد مِن دون الله، حَرُم مالُه ودمُه، وحسابُه على الله ـ عزَّ وجلَّ** ـ». [مسلم]

وعن جُنْدَب بنِ عبد الله البَجَلِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث بعثًا

(١) فهذه الرواية تفسر تلك، وتُبين أن المراد بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ**».. الحديث: أهلُ الأوثان ومشركو العرب، وهم كانوا أولَ من دُعي إلى الإسلام وقُوتِل عليه، أما أهل الكتاب إذا أبوا الإسلام، فإنهم يُقَرُّون على الجزية، ويبقون على دينهم، ويُكَفُّ عنهم.

مـن المسـلمين إلـى قـومٍ مـن المشـركين، وإنهـم التقَـوْا، فكان رجلٌ من المشـركين إذا شـاء أن يقصِـدَ إلى رجلٍ من المسـلمين قصـد له فقتلـه، وإن رجلًا من المسـلمين قصد غفلتـه، قال: وكنا نُحَدَّث أنه أُسـامةُ ابنُ زيد، فلما رفع عليه السـيف، قال: لا إلـه إلا اللهُ، فقتله، فجاء البشـيرُ إلى النبيِّ ـصلى الله عليه وسلمـ فسأله فأخبره خبرَ الرجلِ كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: «**لِمَ قَتَلْتَه؟**» فقال: يا رسول الله أوجع[1] في المسلمين فقتل فلانًا وفلانًا، وسمى له نفرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عليه. فَلَمَّا رَأَى السَّـيْفَ قالَ: لا إله إلا الله. قال رسـول الله ـ صلـى الله عليـه وسـلم ـ: «**أَقَتَلْتَـهُ؟**» قـال: نَعَـمْ. قـالَ: «**فَكَيْـفَ تَصْنَـعُ بِـلا إلـه إلا الله إذَا جَـاءَتْ يَـوْمَ القِيَامَـةِ؟**» قـالَ: يـا رسـول الله! اسْـتَغْفِرْ لِـي. قـالَ: «**وَكَيْـفَ تَصْنَعُ بلا إله إلَّا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**»، قالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَـى أنْ يَقُـولَ: «**كَيْـفَ تَصْنَعُ بلا إلـه إلَّا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**». [مسلم]

(١) أي: أوقع بهم وآلمهم.

(٦) أعلى شُعَبِ الإيمان وأفضلُها

عـن أبي هريرة ـ رضي الله عنـه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ قال: «**الإيمان بضع وسـبعون شعبة، أعلاها** ـ وفي رواية: **أفضلها ـ قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**». [متفق عليه]

والإيمـان: أصـل له شـعب متعـددة، وكل شـعبة منه تسمى إيمانًا.

فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة، والحج، والصيام، والأعمال الباطنة، كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهِيَ هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شـعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشـعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب.

(٧) شرط في العمل الصالح

شُعَب الإيمان قد يتعلق بعضها ببعض تعلقَ المشروطِ بشرطه، فلا تنفع الصلاةُ مَن صلاها عمدًا بغير وضوء، ولا ينفع الإيمان بالله ووحدانيته وأنه لا إله إلا هو؛ من أنكر رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وشعبة قول: «لا إله إلا الله» ـ باعتبارها أعلى وأفضل شعب الإيمان ـ هي شرط في صحة ما تحتها من شعب الإيمان واعتبارِه عند الله ـ تعالى ـ، ولذلك كان مِن شروط الانتفاع بالعمل الصالح في الآخرة[1] أن يكون العبد مسلمًا يشهد أن لا إله إلا الله.

(١) أما الأعمال التي يتقرب بها الكافر إلى الله كصدق الحديث، والوفاء بالوعد، وحسن الجوار، وإغاثة الملهوف، ونحوها، فإنه يُجازَى بها ـ إن شاء الله ـ في الدنيا فقط، التي هي «جنة الكافر»، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]. وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إنَّ الله لا يظلم مُؤمنًا حسنةً، يُعْطَى بِها فِي الدنيا، وَيُجْزَى بها في الآخرة، وأما الكافر** =

لقـد دل القرآن العظيم على أن العمل الذي ينفع العبدَ هو العمل الصالح، وأن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة شروط:

الأول ـ موافقته لما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ، لقولـه ـ تعالـى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الآيـة، [الحشر: ٧]، ولقوله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رَدٌّ**». [متفق عليه]

الثاني ـ أن يكون خالصًا لله ـ تعالى ـ؛ لقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ الآيـة [البينة: ٥]، وقولـه ـ جـلَّ وعـلا ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمـر: ١٤]، ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إنما الأعمال بالنيَّات**»... الحديث. [متفق عليه]

= **فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لله فِي الدنيا، حتَّى إذا أَفْضَى إلى الآخرة لم تكن له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها**». [مسلم]

الثالث ـ أن يكون مبنيًّا على أساس العقيدة الصحيحة، لأن الله ـ سبحانه ـ يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ الآية [النحل: ٩٧].

وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

فقيَّد ذلك بالإيمان، ومفهومه: أنه لو كان غير مؤمن لما قُبل منه ذلك العمل الصالح.

وقد أوضح الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا المفهوم في آياتٍ أُخَرَ، كقوله في أعمال غير المؤمنين: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٩].

(٨) روح الإيمان، وسر حياته

الإيمان حياة، والكفر موت، و«لا إله إلا الله» هي روح الإيمان، وسر حياته.

والحياة الحقيقية لا تكون إلا بإخلاص الدين لله، ومتابعة الوحي المنزل على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال:٢٤].

قال السدي في تفسيرها: «ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر» اهـ.

وهذه الآية الكريمة تدل على أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فَمَن لم تحصل له هذه الاستجابة؛ فلا حياة له ـ وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات ـ فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء ـ وإن ماتوا ـ، وغيرهم أموات ـ وإن كانوا أحياء الأبدان ـ، ولهذا

كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه؛ فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وأعظم أمر دعا إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل جميع الرسل ـ هو توحيد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وإخلاص الدين له ـ تبارك وتعالى ـ، وأعظم نهي حذروا منه ونهوا عنه هو الإشراك بالله ـ تعالى ـ، قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وهذا معنى «لا إله إلا الله».

ولقد سمى الله ـ تعالى ـ الوحيَ رُوحًا في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢].

قال الزجاج: «الروح: ما تحيا به القلوب من هداية الله ـ تعالى ـ لها».

فـ«لا إله إلا الله» للإيمان كالروح للجسـد، إذا فارقته فـارق الحيـاة، وصـار جثـة جامدة، بخـلاف مـا عداها من الأعمال فإنه ـ مع بقاء الروح تبقى الحياة، ولو تلفت بعض الأعضاء، وتعطلت بعض الجوارح.

وقال سفيان بن عيينة: «يقال: لا إله إلا الله في الآخرة بمنزلـة المـاء فـي الدنيا، لا يحيىٰ شـيء في الدنيـا إلا على الماء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠].

فـلا إله إلا الله بمنزلة الماء في الدنيا: من لم تكن معه لا إلـه إلا الله فهـو ميت، ومن كانت معـه لا إله إلا الله فهو حي».

وقـال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر:١٥]، فالروح في هذه الآيات يراد بها ـ علـى الأظهر ـ الوحي، الذي من جملته القرآن الكريم، لأن

الوحي به حياةُ الأرواح، كما أن الغذاء به حياة الأجسام، والقرآن يُحيي القلوب التي أماتها الجهل.

قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ[1] وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال ـ سبحانه ـ فيمن أمات الكفرُ قلوبهم، فهم لا يسمعون سماعَ هدًى وقبول وانتفاع: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل:٨٠]، ثم قابلهم بالمؤمنين الذين أحياهم التوحيد والإيمان، فقال بعدها مباشرة: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل:٨١].

(١) وقوله ـ تعالى ـ في هذه الآية الكريمة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾: أي كافرًا، ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾: أي بالإيمان والهدى. وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق الموت، وإرادة الكفر بلا خلاف. وكقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٧٠]. وكقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر:٢٢] أي: لا يستوي المؤمنون والكافرون.

وقد دلَّ استقراء القرآن الكريم على هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦]، وقد أجمع من يُعتد به من أهل العلم أن المراد بالموتى في قوله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: الكفار، ويدل له مقابلة الموتى في قوله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالذين يسمعون في قوله ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾.

ولو كان يُراد بالموتى مَن فارقَتْ أرواحُهم أبدانهم لقابل الموتى بما يناسبهم، كأن يقال: إنما يستجيب الأحياء: أي الذين لم تفارق أرواحُهم أبدانَهم.

* * *

(٩) مضمونُ الوحيِ الشريف

وقُطْبُ رَحاه

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢].

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «فقد أُمِر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إن ما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد، لشمول كلمة (لا إله إلا الله) لجميع ما جاء في الكتب؛ لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب»اهـ.

ونظير آية (النحل) جملة من الآيات القرآنية الكريمة تواردت على تأكيد هذا المعنى:

فقد قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٨].

وقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠].

والقرآن الكريم كله في التوحيد بنوعيه: العلمي والعملي، وفي حقوقه وجزائه، وفي الشرك وأهله وجزائهم.

وغالبُ سور القرآن متضمنة لنوعَي التوحيد، بل كل سورة[1] في القرآن، فإن القرآن إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيدُ العِلميُّ الخبري.

وإما دعوةٌ إلى عبادته وحدَه لا شريكَ له، وخَلْعِ ما يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فهو التَّوحِيدُ العملي الإراديُّ الطَّلَبيُّ.

وإمَّا أمرٌ ونهي وإلزامٌ بطاعته، فذلك مِن حقوقِ التوحيد ومكمِّلاته.

(١) وإن شئت قلت: «بل كل آية في القرآن الكريم متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه».

وإمـا خَبَرٌ عن إكرامه لأهلِ توحيـده، وما فَعَلَ بهم في الدنيا وما يُكرِمُهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيدِه.

وإما خبرٌ عن أهلِ الشِّـرْكِ، وما فَعَلَ بهم في الدنيا من النَّكال، وما يَحُلُّ بهم في العُقبى من العذاب، فهو جزاءُ مَنْ خرج عن حكم التوحيد.

* * *

(١٠) مُجَدِّدة الإيمان

عن عبد الله بن عمرٍو ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**إن الإيمان لَيَخْلَقُ**[١] **في جَوْفِ أحدِكم**[٢] **كما يَخلَقُ الثوبُ، فاسألوا الله ـ تعالى ـ أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قلوبكم**». [حسن]

فشبَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإيمان بالشيء الذي لا يستمر على هيئته، والعبد يتكلم بكلمة الإيمان، ثم يدنِّسها بسوء أفعاله، فإذا عاد واعتذر؛ فقد جدَّد ما أخلق، وطهَّر ما دنَّس.

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**فاسألوا الله ـ تعالى ـ أن يجدد الإيمان في قلوبكم**» حتى لا يكون لقلوبكم وجهةٌ لغيره، ولا رغبة لسواه.

---

(١) أي: يكاد أن يبلى، وإخلاق الثوب: تقطيعه، يقال: خَلُقَ الثوبُ، وأَخْلَقَ.

(٢) في جوف أحدكم أيها المؤمنون.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله**[(١)]، **قبل أن يُحال بينكم وبينها**[(٢)]، **ولقِّنوها موتاكم**[(٣)]». [حسن]

ويُروى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأصحابه: «**جَدِّدوا إيمانكم**»، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «**أكثروا من قول: لا إله إلا الله**». [حسن]

فالمداومة على قول «لا إله إلا الله» تجدد الإيمان في القلب، وتملؤه نورًا، وتزيده يقينًا.

وفي الحديث دلالة على أن هذه الكلمة الشريفة لـمَّا كانت محصِّلةً للإسلام ابتداءً؛ تكون مُجَدِّدةً له، ومحصِّلةً

(١) أي: أكثروا النطق بها على مطابقة القلب.

(٢) بالموت، فلا تستطيعون الإتيان بها، وما للعمر إذا ذهب مسترجع، ولا للوقت إذا ضاق مستدرك.

(٣) الخطاب لمن حضر المحتضَر، رجاء أن يقولها فيفلح، والمراد بموتاكم: من حضره الموت، لأنه لا يزال في دار التكليف، بخلاف من مات فإنه خرج من دار التكليف إلى دار الجزاء.

لمثل الثواب السابق، وكلما أكثر من ذكرها؛ ازداد قوةً في الإيمان، وكثرةً في الثواب، وفضلُ الله واسع.

ولأن «لا إله إلا الله» تجدد الإيمان، فهي تعالج الجُرْحَ الذي يخدِش جنابَ التوحيد:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**من حلف منكم فقال في حَلِفه**[1]: **باللات والعزى، فليقل**[2]: **لا إله إلا الله**». [متفق عليه]

* * *

(١) أي: يمينه، لما تعوَّده من حَلِف أهل الجاهلية.

(٢) أي: متداركًا لدينه: «لا إله إلا الله»، لأن الحلف إنما هو بالله ـ تعالى ـ فإذا حلف باللات والعزى أو بأحدهما، أو بغيرها من الأصنام، فقد ساوى الكفار في هذا الحلف، وإن لم يقصد مساواتهم، فأمَرَه الشارع أن يتدارك ذلك بكلمة التوحيد.

(١١) زكاة النفوس، وطهارة القلوب

نجاسة الثوب والبدن والمكان يطهرها الماء، أما من تنجست روحه بالشرك، فإنه لا يقوى على تطهيرها منه إلا شهادةُ أن لا إله إلا الله، وبدون هذه الشهادة لا يمكن إزالة هذه النجاسة مهما عمل من الأعمال الصالحة.

ولأنه ليس في الوجود نجاسة أشد خبثًا من الشرك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

ذكر الدليل على نجاسة المشركين

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في الكافرين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:٤١].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٥].

وقد صرح ـ سبحانه ـ بنجاسة الكفار في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾.

ونجاسة المشركين معنوية روحية وليست ذاتية حسية.

والنجاسة المعنوية: هي اعتبارُ صاحبِ وصفٍ من الأوصافِ مُحقَّرًا متجنَّبًا من الناس، فلا يكون أهلًا لفضل ما دام متلبسًا بالصفة التي جعلته كذلك، فالمشرك نَجِس لأجل عقيدة إشراكه، وقد يكون جسدُه نظيفًا مطيَّبًا لا يُستقذَر، وقد يكون مع ذلك مستقذَرَ الجسدِ ملطخًا بالنجاسات، لأن دينه لا يطلب منه التطهر، ولكن تنظفهم يختلف باختلاف عوائدهم وبيئتهم.

والمقصود من هذا الوصف لهم في الإسلام تحقيرهم وتبعيدهم عن مجامع الخير، ولاشك أن خباثة الاعتقاد أدنى بصاحبها إلى التحقير من قذارة الذات، ولذلك

أُوجِب الغسلُ على المشرك إذا أسلم انخلاعًا عن تلك القذارة المعنوية بالطهارة الحسية لإزالة خباثة نفسه.

ونجاسة المشرك ملازمة له، لا تطهرها المصائب المكفرة ولا الحسنات الماحية، بعكس المسلم، فإنه إذا تدنس بشيء من المعاصي ـ دون الشرك ـ فإنه قد تمحوها موانعُ إنفاذ الوعيد وهي: التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين، وإهداء القربات، والشفاعة، والمصائب المكفرة، والعفو الإلهي.

وقد نزَّه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المؤمن عن أن يوصف بالنجاسة:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه لقيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طريق من طرق المدينة وهو جُنُب، فانسَلَّ فذهب فاغتسل، فتفقده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما جاءه قال: «**أين كنتَ؟ يا أبا هريرة!**» قال: يا رسول الله! لقيتَني وأنا جُنُب، فكرهتُ أن أجالسَك حتى أغتسلَ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**سبحان الله! إن المؤمن لا يَنْجَس**». [متفق عليه]

وعـن حذيفـة ـ رضـي الله عنـه ـ؛ أن رسـول الله ـ صلـى الله عليـه وسـلم ـ لقيـه وهـو جنـب، فحـاد عنـه فاغتسـل، ثـم جـاء فقـال: كنـت جُنُبًـا، قـال: «**إن المسـلم لا ينجَس**». [مسلم]

قـال النووي ـ رحمه الله ـ: «هذا الحديث أصل عظيم في طهارة المسلم حيًّا وميتًا»اهـ.

ـ وممـا يدل على نجاسـة المشـركين وصفهـم بأنهم (لا يؤتـون الـزكاة) وهي شـهادة أن لا إلـه إلا الله، فقد قال ـ تعالـى ـ : ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت:٦، ٧] قـال ابـن عباس ـ رضـي الله عنهما ـ: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: «لا يشـهدون أن لا إلـه إلا الله، وهـي زكاة الأنفس».

وعن عكرمة قال: «لا يقولون: لا إله إلا الله».

وقال قتادة: «لا يُقرون بها، ولا يؤمنون بها».

وقال السدي: «لا يَدِينون بها، ولو زَكَّوْا وهم مشركون، لم ينفعهم».

وأثنى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على عباده المؤمنين، فذكر ضمن خصائصهم الشريفة وصفاتهم المنيفة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون:٤].

قال الراغب الأصبهاني: «أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكيهم الله، أو ليزكوا أنفسهم، والمعنيان واحد. وليس قوله: «للزكاة» مفعولًا لقوله: «فاعلون»، بل اللام فيه للعلة والقصد»اهـ.

وقال موسى ـ عليه السلام ـ مخاطبًا فرعون: ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات:١٨، ١٩] أي: تتطهر من هذا الشرك بالتوحيد، قال عكرمة: «أي: إلى أن تقول: لا إله إلا الله». فالتوحيد هو الأصل في التزكية، بل لا يمكن أن تزكو النفس بأي عبادة من العبادات حتى تزكو بشهادة التوحيد أولًا. ولهذا كان أول واجب على المكلف أن يتبرأ من الشرك، ويكفر بالطاغوت، ويزكيَ قلبه ولسانه بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله قبل أي عبادة أخرى. ولهذا لما أرسل رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ معاذًا ـ رضي الله عنه ـ إلى اليمن قال: «**فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**» الحديث. [متفق عليه]

ولقد قال الله ـ عَزَّ مِن قائل ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، وجاء في دعاء إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

فجعل الله ـ تعالى ـ تزكية المؤمنين ضمن المهام الجسيمة بل الغايات العظيمة التي بَعَثَ من أجلها عبدَه ورسوله محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإنقاذ البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور.

وجميع عقائد الإسلام وشرائعه وآدابه تؤدي إلى تزكية النفوس وتطييبها، وفي مقدمة ذلك كله تأتي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، يليها الصلاة، وشقيقتها الزكاة التي جاءت مقرونة بها في كتاب الله ـ تعالى ـ في سبعة وعشرين موضعًا.

وقد جمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين تزكية النفوس بالتوحيد، وبذلِ الزكاة عن طِيب نفس، ومراقبةِ الله ـ تعالى ـ في الحديث الذي رواه عبد الله ابن معاوية الغاضري ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ثلاث من فعلهن فقد طعِم طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاةَ ماله طيبةً بها نفسُه رافدةً عليه**[1] **كلَّ عام، ولا يُعطي الهَرِمة،**

(١) **رافدة**: فاعلة من الرِّفْد وهو الإعانة، يقال: رفدته أرفده إذا أعنته، أي تعينه نفسه على أداء الزكاة.

ولا الدَّرِنة[١]، ولا المريضة، ولا الشَّرَطَ[٢]: اللئيمة[٣]، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيرَه، ولم يأمركم بشره»، زاد البيهقي في (سننه): «**وزكى نفسه**»، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: «**أن يعلم أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ معه حيث كان**»[٤]. [صحيح]

* * *

(١) **الدرنة**: الجرباء، وأصل الدرن: الوسَخ.

(٢) **الشَّرَط**: قال أبو عبيد: هي صغار المال وشراره، وقال الخطابي: والشرط: رُذالة المال.

(٣) **اللئيمة**: البخيلة باللبن، ويقال: لئيم: للشحيح، والدني النفس، والمهين.

(٤) قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي: «يريد أن الله علمُه محيط بكل مكان، والله على العرش»اهـ.

(١٢) أعظم نعمة على المَهْدِيِّين إليها

إن الله ـ تعالى ـ هو مصدر كل نعمة، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

والنعمة العظمى هي المُفْضية إلى السعادة الأخروية الأبدية الخالدة كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٤]، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة**». [متفق عليه]

وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وعن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: مَرَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ برجل يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، قال: «**يابن آدم أتدري ما تمامُ النعمة؟**» قال: دعوةٌ

دعـوتُ بها أرجو بها الخير، قال: «**فـإن تمامَ النعمةِ فَوزٌ من النار، ودخولُ الجنة**». [حسن]

ولاشـك أنـه لا يُنال هذا الفـوز العظيم إلا بـلا إله إلا الله، كلمةِ الشهادة، ومفتاح دار السعادة، فكان التوفيق إليها هـو المِنَّـة العظمـى، والنعمـة القصوى على من شـاء الله ـ تعالى ـ هدايته.

ولذلك يقول أهل الجنة بعد استقرارهم فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣].

وعـن البـراء ـ رضـي الله عنـه ـ قـال: رأيـت النبـيَّ ـ صلـى الله عليه وسـلم ـ ينقل معنا التـراب يوم الأحزاب، وقـد وارى الترابُ بيـاضَ بطنه وهو يقول: «**اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصَدَّقْنَا ولا صَلَّينا**» الحديث. [متفق عليه]

ولقـد اختُصـت «سـورة النحـل» اختصاصًـا عظيمًـا بتَعـداد نعـم الله ـ تعالـى ـ علـى خلقـه[1]، حتـى سُـمِّيَتْ

(١) وقد تكرر ذكر مادة «النِّعم» فيها تسع مرات.

«سورةَ النِّعَم»، وصدَّر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذه السورة بأعظم نعمة، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢]، فقدَّم ذكرها قبل كل نعمة، فدل ذلك على أن التوفيق لهذه الكلمة هو أعظم نعم الله ـ تعالى ـ التي أسبغها على عباده، كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]، قال مجاهد: «لا إله إلا الله».

وقال يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[1] [يوسف:٣٧، ٣٨].

(١) «فهي ملة التوحيد الخالص الذي لا يشرك بالله شيئًا قط.. والهداية إلى التوحيد فضل من الله على المهتدين، وهو فضل في متناول الناس جميعًا لو اتجهوا إليه وأرادوه. ففي فطرتهم أصوله وهواتفه، وفي الوجود مِن حولهم موجباتُه ودلائلُه، وفي رسالات الرسل بيانه وتقريره. ولكن الناس هم الذين لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه»اهـ. من «الظلال» (٤/ ١٩٨٩).

وقال سفيان بن عيينة: «ما أنعم الله على العباد نعمةً أفضلَ مِن أن عرَّفهم (لا إله إلا الله)، فإن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية [آل عمران:١٦٤]، وذمَّ من لم يعرف قدر هذه النعمة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «يعني بنعمة الله محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ»، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة، ومقابلتها بذكره وشكره، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة ١٥١، ١٥٢].

قال مجاهد: «كما فعلتُ، فاذكروني».

ولا شك أن التوفيق لشهادة التوحيد والانتظام في سلك الموحدين هو أعظم نعمة ينعمها الله على العبد، وأنها تدخل دخولًا أوليًّا في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الأحقاف:١٥]، وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [الفاتحة:٧].

من أجل ذلك كان من هدي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن يجلسوا ليشكروا الله ـ تعالى ـ على نعمة التوحيد، ونعمة الرسالة، ونعمة الإسلام:

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: خَرجَ معاويةُ على حَلْقَة في المسجد، فقال: «ما أَجلَسَكُم؟» قالوا: جَلسنا نَذكُرُ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال: آلله ما أَجلَسكُم إلا ذاكَ؟ قالوا: الله ما أَجلسَنا إلا ذاك، قال: أَمَا إنِّي

لـم أسـتَحلِفْكُم تُهمَـةً لكـم، ومـا كانَ أحـدٌ بمنزلتـي مـن رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقَلَّ عنه حديثًا منِّي، وإنَّ رسـولَ الله ـ صلـى الله عليه وسـلم ـ خَرجَ علـى حَلْقة من أصحابِـه، فقـال: «**ما أَجلَسَـكُم؟**» قالـوا: جَلسـنا نَذكُرُ الله - عـزَّ وجلَّ - ، ونَحمدُهُ على ما هَدانا للإسـلام ومَنَّ علينا بك، قال: «**آلله ما أجلَسكُم إلا ذلكَ؟**» قالوا: الله ما أَجلسَنا إلا ذلك، قال: «**أَما إنِّي لَمْ أستَحلِفْكُم تُهمَةً لكم، وإنَّهُ أتانِي جِبريلُ ـ عليه السـلام ـ فَأخْبرَنـي أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يُباهِي بِكُمُ الملائِكةَ**». [صحيح]

ورُوي عـن منصـور بـن صفيـة أنـه قـال: مـرَّ النبـي ـ صلى الله عليه وسلم ـ برجل وهو يقول «الحمد لله الذي هداني إلى الإسلام، وجعلني من أمة أحمد ـ صلى الله عليه وسـلم ـ، فقال رسـول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ: «**لقد شكرتَ عظيمًا**» الحديث. [ضعيف]

وعـن عبـد الملك بن مـروان قال: مـا قال عبـدٌ كلمةً أحـبَّ إليه وأبلغَ في الشـكر عنده مـن أن يقول: «الحمد لله الذي أنعم علينا، وهدانا للإسلام».

* * *

(١٣) أفضل الذكر

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «**أفضل الذكر**[١]: **لا إله إلا الله**[٢]، **وأفضل الدعاء: الحمد لله**».

[حسن]

وعن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أفضل الكلام بعد القرآن أربع؛ وهنَّ من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**». [صحيح]

وعن أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**أفضل ما قلتُ أنا والنبيُّون قبلي عشيةَ عَرَفَةَ: لا إله إلا الله وحده،**

(١) أي بعد القرآن الكريم، وذلك لحديث سمرة بن جندب الذي بعده.

(٢) إذ لا يصح الإيمان إلا به، ولأن فيه إثباتَ الإلهية لله ونفيها عما عداه، وليس ذا في سواه من الأذكار، ولأن للتهليل تأثيرًا في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة.

لا شـريك لـه، له الملـكُ وله الحمـدُ، وهو على كلِّ شـيء قدير». [حسن]

وعـن يحيـى بـن طلحـةَ، قـال: رأى عمـرُ طلحـةَ ابـنَ عبيـد الله حزينًـا، فقـال: مالـك؟ قـال: إنـي سـمعتُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، يقول: **إني لَأعلم كلماتٍ لا يقولهـن عبدٌ عند الموت إلا نُفِّسَ عنه، وأشـرقَ لها لونُه، ورأى ما يسره**، فما يمنعني أن أسأله عنها، إلا القدرةُ عليها، فقـال عمـر: إنـي لأعلم مـا هي؟ قـال: هل تعلـم كلمةً هي أفضلُ من كلمةٍ دعا إليها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عَمَّـه عند الموتِ؟ قـال طلحة: هي والله هـي، قال عمر: «لا إله إلا الله».

وقـد ثبت لــ «لا إلـه إلا الله» فضائـل عظيمـة كثيرة، واقترنت في كثير من النصوص بغيرها من ألفاظ الثناء على الله ـ تعالى ـ في الأذكار الموظفة، والأذكار المطلقة.

* * *

(١٤) من الباقيات الصالحات

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم:٧٦].

قيل: هي كل عمل صالح يُرضي الله من قول أو فعل يبقى للآخرة[١].

وذهب جمهور المفسرين إلى أنها قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

ـ وذلك لما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**خُذوا جُنَّتكم**»، قلنا: يا رسول الله مِن عَدوٍّ قد حضر! قال: «**لا، بل جُنَّتكم من**

(١) وفسَّرها بعضهم: بالصلوات الخمس، أو أعمال الحج، أو الصدقات، أو الصوم، أو الجهاد، أو العتق، أو الذكر. وهذا كله على طريق التمثيل، واللفظ الكريم يتناولها لكونها من أفراده

النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنَّهنَّ يأتين يوم القيامة مُقدِّماتٍ ومُعَقِّباتٍ ومُجَنِّباتٍ، وهن الباقيات الصالحات». [صحيح]

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه سُئل: ما الباقيات الصالحات؟ فقال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». [حسن]

* * *

(١٥) اسم الله الأعظم

باستقراء الأحاديث الثابتة في تعيين اسم الله الأعظم نخلص ـ بعد ترجيح تعدده ـ إلى أنه:

١ ـ يشتمل على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

٢ ـ يقترن بالوعد بالاستجابة أو المغفرة أو تفريج الكربات.

٣ ـ يأتي مركبًا من عدة كلمات لا مفردًا.

ـ وأصح ما ورد في تعيينه:

١ ـ ما رواه عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمع النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلًا يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد»، قال: فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم؛ الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى**». وفي أحد لفظي أبي داود: «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أَعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب**». [صحيح]

٢- عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه كان مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمدَ، لا إله إلا أنت، المنانُ، بديعَ السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيومُ»، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى»**. [صحيح]

٣- عن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]». [حسن]

٤- وعن سعد بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إله إلا أنت سبحانك إني**

كنت من الظالمين)، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها»[1]. [صحيح]

والحاصل: أن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» قاسم مشترك بين الصيغ الواردة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

* * *

(١) ورُوي عنه ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى؟ الدعوة التي دعا بها يونس حين ناداه في الظلمات ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾» فقال رجل: يا رسول الله! هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ألا تسمع قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]». [ضعيف]

(١٦) لا يحجبها عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ شيء

عـن أبـي هريـرة ـ رضـي الله عنـه ـ قـال رسـول الله ـ صلـى الله عليـه وسـلم ـ: «**مـا قال عبـد: (لا إلـه إلا الله) قـطُّ مُخْلِصًا إلا فُتحت له أبوابُ السـماء، حتـى تُفْضِيَ إلى العرش، ما اجتنب الكبائر**». [حسن]

ورُوي عـن عبـد الله بـن عمـرو ـ رضـي الله عنهما ـ مرفوعًـا: «.. **لا إلـه إلا الله ليـس لهـا دون الله حجاب حتى تخلُصَ إليه**». [ضعيف]

* * *

(١٧) مفتاح دعوة الرسل - عليهم السلام -

كانت الدعوة إلى تحقيق أن «لا إله إلا الله»، الركن الركين، والأصل الأصيل الذي قدمه الأنبياء على غيره حين دَعَوْا أممهم إلى الإسلام، ابتداءً بنوح ـ عليه السلام ـ الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى التوحيد، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٣].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٥، ٢٦].

وكذلك فعل هود ـ عليه السلام ـ قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥].

وتكررت هذه الكلمة، وهذه الدعوة، على لسان صالح وشعيب وسائر الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ،ثم ذكرها الله ـ تعالى ـ قاعدة عامة في دعوة كل الرسل، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ثم أمر الله ـ تعالى ـ نبينا محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بهذا فقال:

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر:١١، ١٢].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ [الزمر:١٤].

وعندما بَعَثَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معاذَ ابن جبل ـ رضي الله عنه ـ، إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا أهلَ كتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه:**

عبــادةُ الله وحــده، وفــي روايــة: **فادعهــم إلــى شــهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فَأَعْلِمْهُمْ أن الله - عــزَّ وجــلَّ -، افترض عليه خمــسَ صلواتٍ في كل يوم وليلة**» الحديث. [متفق عليه]

* * *

(١٨) القاسم المشترك الأعظم
بين جميع الرسالات السماوية

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف:٤٥].

فكلمة التوحيد الخالدة «لا إله إلَّا الله» قالها كل نبي ورسول من الله[١]، ودعا إليها قومه منذ نزل آدم على هذه الأرض وحتى أكمل الله دينه، وأتم نعمته على الناس جميعًا بدين الإسلام.

وقد بدأ بها نوح، وهود، كما تقدم آنفًا، وكذلك قال صالح ـ عليه السلام ـ، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الآية [هود:٦١].

---

(١) روى أمير المؤمنين عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**». [حسن]

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود:٨٤].

وهي دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى قومه؛ يقول الله ـ تعالى ـ فيما يقصه عنه: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٦،١٧].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

وهي دعوة موسى ـ عليه السلام ـ وأول كلام تلقاه عن الله، كما يشير إليه قوله ـ جلَّ شأنه ـ فيما يقصه عنه لما توجه في طريق عودته إلى مصدر النار التي رآها: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ

طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه:١١-١٤].

وجاء في «التوراة»: «**أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور**» [سفر التثنية ـ الإصحاح الخامس ٦ـ٩].

وجاء في نبوة إشعيا أيضًا: «**يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه ربُّ الجنود: أنا الأول وأنا الآخِر، ولا إله غيري. ومن مثلي ينادى، فليخبر به ويعرضه لي.. هل يوجد إله غيري؟**» [إشعيا (٤٤/ ٦ـ٩].

– وهي دعوة يحيى ـ عليه السلام ـ حين قال لبني إسرائيل: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا**

مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟!» الحديث. [صحيح]

- وهي دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ: فقد قال ـ عليه السلام ـ مخاطبًا قومه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران:٥١].

وقال الله ـ سبحانه ـ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال الله ـ جل شأنه ـ فيما قصَّه القرآن الكريم على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧].

وقال ـ تعالى ـ في شأن المسيح ـ عليه السلام ـ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم:٣٠].

لقد جاءت أسفار (العهد الجديد) ـ الإنجيل ـ تؤكد تفرد الخالق بالألوهية والربوبية، وتذكر ذلك على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ وحوارييه.

ففي (إنجيل متى) أن المسيح ـ عليه السلام ـ أخذه الشيطان إلى قمة جبلٍ عال جدًّا، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها، وقال له: «أعطيك هذه كلها إن جثوتَ وسجدتَ لي»، فقال له يسوع: «**اذهب يا شيطان! فقد كُتب: للرب إلهِك تسجد، وإياه وحده تعبد**» (٤/ ١٠).

وفي (إنجيل يوحنا) أن المسيح ـ عليه السلام ـ قال: « **والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلتَه: يسوع المسيح**»[1] (١٧/ ٣، ٤).

وفي (غلاطية): «**لكن الله واحد**» (٣/ ٢٠).

(١) والتوحيد معتقد تلاميذ المسيح وتلاميذهم، وقد أقر بذلك نصراني معاصر يُدعى (عوض سمعان) حيث قال: «إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله» اهـ. نقلًا من «النصرانية والإسلام» للمستشار محمد الطهطاوي.

(١٩) ملة إبراهيم الحنيفية

أفضل من دعا إلى «لا إله إلا الله» بعد رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أبوه إبراهيم ـ عليه السلام ـ أبو الأنبياء وخليل الرحمن.

فقد افتتح إبراهيم ـ عليه السلام ـ عهدًا جديدًا، وسطَّر في تاريخ الدعوة إلى التوحيد فصلًا متميزًا فريدًا؛ إذ دعا إلى تحقيق هذه الكلمة في قوةٍ وحرارةٍ بالغتين، وجاهر قومه وأباه بالعداوة، وقال لهم في صراحة وجرأة: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال لهم كذلك: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢].

لقد ضرب إبراهيم المثل في التضحية والإخلاص والتفاني في الدعوة إلى الله، واحتمال كل ما يلقى في سبيلها ولو كان التحريق بالنار، واستحق بذلك ما أثنى الله به عليه في كتابه من قوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ (١) مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

(١) وليس يلزم من كونه ـ عليه السلام ـ أُمِرَ باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيمُ أكملَ منه فيها؛ لأنه ـ عليه السلام ـ قام بها قيامًا عظيمًا، وأُكملت له إكمالًا تامًّا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتَمَ الأنبياء، وسيدَ ولد آدم على الإطلاق، وصاحبَ المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق كلهم، حتى إبراهيم ـ عليه السلام ـ، كما في حديث أُبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ في «صحيح مسلم»: «**وأخَّرتُ الثالثةَ ليومٍ يرغب إليَّ الخلقُ كلهم حتى إبراهيم**».

وقال الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

فمن شرف إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن أضافه الله ـ تعالى ـ إلى دين الإسلام، ونسب الملة الحنيفية إلى اسمه الشريف فقال: «ملة إبراهيم».

وملته ـ عليه السلام ـ هي ملة الأنبياء قبلَهُ وبعدَهُ، وهي الإسلام بمعناه العام، الذي يعني إسلام الوجه لله ـ تعالى ـ بالإخلاص له وحده دونما سواه، ونبذ الشرك والبراءة من أهله، والإحسان في عبادته باتباع شرعه الذي شرعه على لسان نبيه الذي أرسله، والإيمان بالمعاد، وذلك أحسن الدين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥].

وقد نص القرآن الكريم على أن جميع الأنبياء مِن بعده افتخروا بانتمائهم إلى ملة إبراهيم ودعوا قومهم إليها:

ـ فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

وهذا يوسف ـ عليه السلام ـ يفخر بانتسابه إلى ملة إبراهيم، فقد قص الله علينا في حواره ـ عليه السلام ـ مع صاحبي السجن:

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف:٣٧، ٣٨].

وأمر الله ـ سبحانه ـ خليلَه محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يفخر بنعمة الانتماء إليها، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ:

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٦١].

وعن عبد الرحمن بن أبزى ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أصبح قال: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين**» وإذا أمسى قال مثل ذلك[1]. [حسن]

وأمر المؤمنين باتباعها، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٩٥].

وخاطب أمة محمدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ الآية [الحج:٧٨].

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فيه حث وإغراء للمؤمنين على ما جاءهم به رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ.

(١) وفي رواية: «**كان يعلمنا إذا أصبحنا...، وإذا أمسينا مثل ذلك**».

وأثنى الله ـ تبارك وتعالى ـ على محمدٍ خاتَم النبيين وأمته وأتباعِه إلى يوم القيامة، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨].

* * *

(٢٠) هي الدين المقبول عند الله

منذ وُجِدَ الشركُ والفساد في الأرض، كانت الأنبياء والرسل يدعون إلى عبادة الله وحده، وينهَوْن عن كل صور الفساد في الأرض، وكان الذين يتبعون الأنبياء هم المؤمنين، كان نوح مؤمنًا، وكان من تبعه مؤمنين، وكذلك كان إبراهيم خليل الرحمن أبو الأنبياء والمرسلين مؤمنًا، وكان أتباعُه مؤمنين. وكذلك كان إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وكذلك كان الأنبياء من بعده إلى عيسى مؤمنين، وكان أتباعُهم مؤمنين، حتى بعث الله إلى البشرية كلها خاتَمَهم محمدًا – صلى الله عليه وسلم – مؤمنًا، وأتباعه المؤمنون.

واليوم يُعرف الذين انتسبوا إلى موسى باليهود أو (الموسويين)، ويُعرف الذين انتسبوا إلى المسيح بـ النصارى أو (المسيحيين)، ويُعرف الذين آمنوا بمحمدٍ

ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمسلمين، وكلٌّ يؤمن أن دينه هو دينُ الله، أو هو الدين عند الله، فما هو الدين المَرْضِيُّ المقبول عند الله؟.

* * *

الحقيقة التي اتفق عليها
المسلمون واليهود والنصارى

لا يستطيع مسلم ولا يهودي ولا نصراني أن ينفي الإيمان عن نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء قبل موسى ـ عليه السلام ـ، فالجميع يؤمنون أن هؤلاء كانوا رسلَ الله المؤمنين، وأن من تبعوهم كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا على الدين المَرْضِيِّ المقبول ـ عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أحد أن ينسبهم إلى الموسوية (اليهودية)، ولا إلى المسيحية (النصرانية)، لسبب بديهي هو أن (اليهودية) و(النصرانية) لم تكن قد عُرفت بعد في عهد أي واحد من هؤلاء الأنبياء، والسؤال الآن:

ما هذا الدين الذي آمن به الأنبياء من لدن آدم ـ عليه السلام ـ إلى نوح، إلى إبراهيم، إلى آخر نبي بُعث قبل موسى ـ عليه السلام ـ؟ نعم، ماذا كان دين هؤلاء الأنبياء الذي يتفق اليهود والنصارى والمسلمون على أنه دين الله، وأنه هو الدين المقبول المَرْضِيُّ عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ؟

الجواب: هو أن السبيل إلى التعرف عليه هو التفكر في جوهر هذا الدين وحقيقته ومقاصده، ونحن نعلم أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لما أرسل هؤلاء الأنبياء إلى أممهم فإنه أرسلهم بعقيدة واحدة هي توحيد الله، وبشرائعَ يدعون الناسَ إليها تتضمن أوامر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ونواهيَه، فَمَن قبلها وانقاد لله فيها: فهو المؤمن الذي آمن بالله ورسوله المبعوثِ إليه، ودان بالدين الذي يرضاه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويقبله، فهذا الدين عند الله هو توحيد الله، والانقياد لشرائع الله، والاستسلام لحكم الله، والخضوع لأمره ونهيه، والإخلاص له ـ عزَّ وجلَّ ـ في ذلك كله، وإذا حاولنا أن نعبر عن هذه المعاني كلِّها في لغة العرب بكلمة واحدة تتضمن: الاستسلام (الذي هو الخضوع والانقياد)،

والسلامة (التي هي الإخلاص)، فلن نجد سوى كلمة واحدة هي: (الإسلام).

نعم، فإن (الإسلام لله) هو التعريف الوحيد الذي يمكن أن يُعبَّر به عن الدين المعتبرِ والمَرْضِيِّ والمقبولِ عند الله، هو القاسم المشترك بين رسالات جميع الأنبياء، هو وحده الذي نستطيع أن نقول: إنه كان دين نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب ـ عليهم السلام ـ، ومن تبعهم من المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

من أجل ذلك لم يكن لفظُ (الإسلام) مجرد اسمٍ خاصٍّ للتعبير عن رسالة محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولكنه ـ في حقيقته ـ هو التعبير الوحيد عن جوهر جميع الرسالات السماوية، بما في ذلك رسالة موسى، ورسالة عيسى ـ عليهما السلام ـ ولم يكن وصف (المسلمين) مجردَ اسمٍ لأتباع رسولِ الله محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بل هناك معنىً (عام) للإسلام وللمسلمين، دلت عليه النصوص الآتية:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢].

وقال ـ سبحانه ـ حاكيًا دعاء إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة:١٢٨].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران:٢٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء:١٢٥].

وقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٧١].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ [الحج:٣٤].

إن غير المسلمين إذا سمعوا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]، تنصرف أذهانهم إلى الإسلام (الخاص) الذي دعا إليه محمد رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ويحسبون أن رسالة موسى التي يُعبَّر عنها ـ الآن ـ بالموسوية، أو رسالة عيسى التي يُعبر عنها ـ الآن ـ بالمسيحية، لا تدخلان في عموم الإسلام المذكور في الآيتين السابقتين.

ومما يؤسف عليه أشد الأسف أن هذه الحقيقة قد تغيب عن كثير من المسلمين، فيحملون الآيتين على الإسلام (الخاص)، ولا يفطنون إلى أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وأنهم وأتباعهم أجمعين كانوا مسلمين، ومن أجل توضيح هذه الحقيقة، نذكر شواهدها وأدلتها من القرآن الكريم.

فقد خاطب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ رسلَه الكرام ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ قائلًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:٥١-٥٢]، أي: هذه ملتكم واحدة، لأن كلمة (أمة) هنا معناها: الدين والملة، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[الشورى:١٣].

وقال ـ سبحانه ـ في حق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩، ٨٠].

وذكر ـ سبحانه ـ أن أول رسول منه إلى أهل الأرض نوحًا ـ عليه السلام ـ قال لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢].

وقال ـ تعالى ـ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧].

وقال ـ تعالى ـ عن إبراهيم ويعقوب ـ عليهما السلام ـ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٣].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ في شأن يعقوب ـ عليه السلام ـ: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٣].

وحكى عن يوسف ـ عليه السلام ـ دعاءه: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

وحكي عن لوط ـ عليه السلام ـ أنه: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات:٣١-٣٦].

وقال ـ تعالى ـ عن موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤].

وقال ـ تعالى ـ حكاية عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦].

وقال ـ تعالى ـ حكاية عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

وقال ـ سبحانه ـ حاكيًا عن بلقيس: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل:٢٩-٣١].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل:٤٢] إلى قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٤٤].

وقال ـ سبحانه ـ في شأن عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢].

وقال ـ تعالى ـ عن الحواريين أيضًا: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة:١١١].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

قال الزمخشري في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة:٤٤]: «وأُريدَ بإجرائها ـ يعني

هـذه الصفة ـ التعريضُ باليهود، وأنهم بُعَداءُ من ملة الإسـلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأن اليهودية بمعزل منها».اهـ.

وقال ابن منظور في (لسـان العـرب): وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ [المائدة:٤٤]، فسره ثعلب فقال: «كل نبي بُعِثَ بالإسلام غير أن الشرائع تختلف».اهـ.

وقـال ـ تعالى ـ عن أهل الكتـاب من اليهود والنصارى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٢، ٥٣].

يعني أن المؤمنين منهم بدينهم حقًّا يقولون: إنا كنا من قبل نزول القرآن مسلمين، فلم يقولوا: إنا كنا من قبله يهودًا أو نصارى.

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٣-٨٥].

ومن هنا كان مقتضى إيمان قوم موسى ـ عليه السلام ـ عبادة الله وحده، لا شريك له، والإيمان بالتوراة، والانقياد لشريعة موسى ـ عليه السلام ـ، وليس الدين لموسى، ولكنه دين الله، وموسى رسوله والمبلغ عنه، والذين اتبعوا موسى، وآمنوا بالتوراة التي أُنزِلت عليه كانوا مسلمين خاضعين لله ـ سبحانه وتعالى ـ، فإنهم بهذا الإيمان والانقياد والخضوع والاستسلام لله ـ عزَّ وجلَّ ـ إنما يكونون قد (أسلموا) لله فيما أرادهم أن يُسلموا له فيه.

وتوالى رسلُ الله بعد موسى ـ عليه السلام ـ، وكان مقتضى الإسلام لله ـ عزَّ وجلَّ ـ الإيمان بالرسل جميعًا وبرسالاتهم، وهكذا إلى أن بعث الله عبدَه ورسولَه عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والانقياد لشرعه، والإيمان بكتابه الإنجيل المنزل من عند الله، وليس الدين للمسيح، وإنما هو دين الله الذي أَرسل به جميع رسله وأنبيائه، والذين آمنوا بالمسيح ـ عليه السلام ـ وبالإنجيل كانوا مسلمين خاضعين لله ـ سبحانه ـ، لأنهم (أسلموا لله) فيما أرادهم أن يُسلموا له فيه.

وهكذا أيضًا كان مقتضى إيمان الأمة المحمدية: التصديق بتوحيد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا شريك له، والإيمان برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وبالقرآن العظيم، فليس الدين لمحمد ولا لعيسى ولا لموسى إنما هو دين الله، دين واحد، هو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

ومن هنا يتقرر أمور:

الأول ـ خطأ تسمية البعض هذا الدين بـ (الموسوية) أو (المسيحية) أو (المحمدية)، إنما هو (الإسلام) دين واحد أرسل الله به جميع الرسل ـ عليهم السلام ـ داعين أممهم إليه، فمن أجابهم كان مسلمًا.

الثاني ـ خطأ إطلاق عبارة (الأديان السماوية) بصيغة الجمع، فلا توجد (أديان) سماوية متعددة، إنما الذي أُنزِل من السماء (دين واحد) هو الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وإنما الذي يتعدد هو (الرسالات) أو (الشرائع السماوية)، والأحكام العملية التي تختلف من نبي إلى آخر، كتفاصيل وأحكام الطهارة، والصلاة، والصيام، والزواج، والمعاملات، وغيرها.

وهذا ما يبينه قولُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**الأنبياء إخوة لعَلَّاتٍ، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»، قال العلماء:

أولاد العَلات هم الإخوة لأبٍ من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان.

ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، فهم متفقون في أصول التوحيد والطاعة، أما شرائعهم فيقع فيها الاختلاف.

الثالث ـ أن العقيدة الوحيدة الصحيحة على وجه الأرض منذ بعث الله محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى اليوم لا توجد إلا في الإسلام، لأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تكفل بحفظه من التحريف والتغيير: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحِجْر:٩]، وهي نفس العقيدة التي دعا إليها كل الرسل الكرام في كل زمان ومكان، لا تختلف من رسولٍ إلى رسول، ولا من زمانٍ إلى زمان. أما ما عداها فهي عقائد فاسدة متعددة، وفسادها ناشئ من كونها نتاجَ أفكار البشر وأهوائهم، وقد يكون أصل بعض هذه العقائد صحيحًا لكن التغيير والتحريف طرأ عليها كما هو الحال في زماننا هذا بالنسبة لليهودية والنصرانية.

(٢١) مقتضى فطرة الله
ومقتضى الميثاق القديم

الإقرار بوجود الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وإثبات الكمال المطلق لـه ـ تبـارك وتعالـى ـ، هو إقـرار يقتضـي ويسـتلزم تحقيق «لا إله إلا الله»، وإفرادَه بالعبودية وإخلاصَ الدين له. وهذا كله هو ما تقتضيه الفطرة التي فطر الله الناسَ عليها.

إن معرفـة الرب ـ سـبحانه ـ وأنه لا إلـه إلا هو، معرفة فطريـة ضرورية، بديهية أوليـة، لأنها مركوزة في الفِطَر بغير استدلال ولا نظر.

فـإذا تُرِكَـت الفِطَـر بلا فسـادٍ يطـرأ عليها فـإن القلب يعرف ربه ـ ضرورةً ـ ويحبه، ويعبده وحده دون سواه، ولو قُدِّر أن إنسـانًا نشـأ وحده، وتربى وحده دون مؤثرٍ خارجي مـن البيئة المحيطة حتى يبلغ فإنه ينشـأ مؤمنًـا موحِّدًا عارفًا بالله ـ تعالى ـ.

ومَثَل الفطرة مع الحق كبصر العين مع الشمس، فكل ذِي عينٍ مُبصرة لو تُرِكَتْ عينهُ بغير حجاب عليها فإنه يرى الشمس، والعقائد الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية مثل الحجاب على العين، فهي تحول بين البصر ورؤية الشمس، كما أنَّ كلَّ ذِي حِسٍّ سليم يحب الحُلْوَ، إلا أن يعرض في طبيعته فساد، يجعل الحُلْوَ في فمه مُرًّا:

ومن يَكُ ذا فمٍ مريضٍ يجدْ مُرًّا به الماءَ الزُّلالا

والفطرة التي خلق الله الناس عليها هي مقتضى العلم الضروري الذي يجده الإنسان من نفسه بحيث لا يحتاج في ذلك إلى النظر والاستدلال، فكل إنسان مفطور على أن يريدَ الله، ويحبه لذاته، ويتقربَ إليه.

ثم جاءت الأدلة الشرعية تؤكد هذه الحقيقة، وتأمر بلزوم الفطرة:

الدليل الأول:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

ووجه دلالة الآية على فطرية التوحيد هو أن الأمر بالاستقامة على الدين الحنيف اقترن ببيان أن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن خلق الله للناس على تلك الفطرة سنة مطردة لا تبديل لها.

ومما يبين أن الفطرة المأمور بالاستقامة عليها تقتضي الإسلام إضافتُها إلى الله ـ تعالى ـ، فلا بد أن تكون ممدوحة، ولا تكون كذلك إلَّا إذا كانت مقتضية للإسلام.

الدليل الثاني:

أن الفطرة أثر من آثار العهد والميثاق، الذي أخذه الله ـ سبحانه ـ بنفسه المقدسة من بني آدم، وهم في عالم الذر قبل الخلق. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ

شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤]، وبذلك خلقت الذرية كلها مقرة بالإسلام، ومستقيمة على ملته، وظلت الخليقة على ذلك وقتًا مقدرًا من الزمان، حتى دبَّ فيهم الاختلاف، وابتدع الشرك، فنقض العهد، وفسدت الفطر، وضلت العقول عن المراد من علة الخلق وحكمة التكوين...

فعندئذ رحمة من الله بعباده أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكموا بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، وليُذَكِّروا الخلقَ بمقتضى فِطَرِهم من قبل أن يأتيهم عذاب أليم.

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقد رجَّح بعض المحققين أن الميثاق المذكور في آية

الأعـراف هـو خلقهـم مفطوريـن علـى التوحيـد[1]، قـال

(١) ومما جاء في إشـهاد الناس على أنفسـهم بالتوحيد مما يقتضي أن يكون من العلوم الفطرية الضرورية، حديثُ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**يقول الله لأهون أهل النار عذابًا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنتَ تفتدي به؟ قـال: نعم، قال: فقد سـألتك ما هو أهون من هـذا وأنت في صُلْب آدم، ألا تُشرك بي، فأبيتَ إلَّا الشرك**».

ومـراد الحديـث: «أردتُ منـك حيـن أخـذت الميثـاق، فأبيـت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلَّا الشرك».

وهذا الحديث صريح في أن الله قد أخذ الميثاق على الناس بالتوحيد وهم في صلب أبيهم آدم، وأن ذلك يقتضي أن الحجة قد قامت عليهم بالتوحيـد، وأنه لا حجة لمن وقع في الشـرك مع ذلـك الميثاق، وهذا يقتضـي أن معرفـة الله وتوحيـده من العلـوم الضرورية التـي لابد من تحققها عند كل أحد، وهذا هو مقتضى القول بفطرية التوحيد.

وليـس في هذا الحديث تفصيل كيـف أخذ الله الميثاق علـى بني آدم، وإنما فيه الخبر أنه قد أخذ عليهم ذلك الميثاق وهم في صلب أبيهم آدم. وقد ورد في أحاديثَ أخرى ـ اختلف العلماء في ثبوتها ـ تفصيلُ كيفية أخذ الله الميثاقَ على بني آدم، وأن الله أشهدهم على أنفسهم حينذاك.

وقد نفى بعض الأئمة المحققين الإشـهادَ السابق، وإقرار الله للناس علـى أنفسـهم بالتوحيد قبل أو يولـدوا، لكن هذا مُعـارض لحديث أنـس السـابق؛ إذ هـو صريـح أن الله قد أخـذ الميثاق علـى بني آدم بالتوحيد وهم في صلب آدم، بل إن آية الإشـهاد صريحة في الدلالة =

شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «أما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجِّسانه**»: فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢]. وهي: السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة.

= على حصول الإشهاد قبل الولادة، سواء قيل إن ذلك الإشهاد كان حين أخذهم من ظهر آدم، أو كان الإشهاد عليهم حين أخذهم من ظهور آبائهم.

وعلى هذا لا يمكن أن يكون الإشهاد هو مجرد الخلق على الفطرة، وإن كان الإشهاد يقتضي أن يكون التوحيد هو الأصل الذي يولد عليه كل مولود، إذ لابد مع إثبات فطرية التوحيد من إثبات ما دلت عليه النصوص من وقوع الإشهاد وأخذ الميثاق بذلك على الناس جميعًا، وإن لم يلزم إثبات تفاصيل ذلك لورودها في أحاديث لا تقوم بها الحجة كما تقدم، ولا تنافي بين إثبات أصل الإشهاد وبين التوقف في تفاصيله أو نفيها.

الدليل الثالث:

دلت آيات القرآن الكريم على أن جميع الرسل افتتحوا دعوتهم بقولهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]، وأول صيغة أمر في (المصحف الشريف) هي قوله ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وذلك لأن معرفة الله فطرية ضرورية أولية، وهي أشد رسوخًا في النفوس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا: «إن الواحد نصف الاثنين»، ومبدأ العلم الطبيعي، كقولنا: «إن الجسم لا يكون في مكانين».

فمِن ثَمَّ دعا الأنبياء أول ما دَعَوْا قومهم إلى عبادة الله وحده، لأنهم ـ بحكم الفطرة ـ يعرفون الله، فإذا دُعوا إلى الإقرار بوجود الله ـ تعالى ـ أولًا؛ كان ذلك تحصيل حاصل، وإذا دُعوا إلى عبادته وحده تضمن ذلك الأمرُ أنهم يعرفونه.

وأكثر الناس غافلون عما فُطروا عليه من العلم، فيذكِّرهم الرسل بالعلم الذي فُطروا عليه، ولذلك قال

ـ تعالى ـ: ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ [ق: ٨]، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾ [الغاشية: ٢١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴾ [الأعلى: ١١، ١٢]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]، حتى لو غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء، فلا شك أنها تستيقظ في حال الضراء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٦٧].

لقد أرسل الله الرسل لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغييرها وتحويلها، ولا بد لهذه الفطرة من قُوتٍ وغذاء يمدها بنظير ما هو مغروس فيها وما قد فُطرت عليه علمًا

وعملًا، ولهذا كان كمال الدين التام، بالفطرة المكمَّلة، بالشريعة المنزلة.

قال ـ تعالى ـ فِي أول ما أنزل من كتابه الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، وقال أيضًا: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ٣].

قال شيخ الإسلام: «ذُكر ـ أي الرب ـ في الموضعين بالإضافة التي توجب التعريف، وأنه معروف عند المخاطَبين، إذ الرب ـ تعالى ـ معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق، وأن المخلوق ـ مع أنه دليل، وأنه يدل على الخالق ـ لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال؛ ومعرفته فطرية، مغروزة في الفطر، ضرورية، بديهية، أولية»اهـ.

الدليل الرابع:

ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجِّسانه، كمثل البهيمة تنتج**

بهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟»، وفي رواية: «**تنتج بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟**»، ثم يقول أبو هريرة: «اقرؤوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]». [متفق عليه]

والفطرة هنا هي الإسلام، وهذا هو المعنى الشرعي المعهود في نصوص الوحيين كما في بعض الرويات: «ما من مولود يولد إلا على هذه الملة» [مسلم]

ومنها: حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمرى إليك، وألجأتُ ظهرى إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلَّا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة**». [متفق عليه]

قال الحافظ ابن حجر: «وقوله: (**على الفطرة**)، أى: على الدين القويم، ملة إبراهيم، فإنه ـ عليه السلام ـ أسلم واستسلم...».

ـ **ومنها**: ما كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوله إذا أصبح وهو: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وعلى ملة إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين**» الحديث. [صحيح]

– ومما يدل على أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد بالفطرة في الحديث ما يقتضي التوحيد أنه قد ذكر التهويد والتنصير والتمجيس في مقابل الفطرة، بحيث تكون تلك الأديان مخالفة لمقتضاها، لأن الفطرة هي الأصل الذي يولد عليه كل مولود، واتباع تلك الأديان الباطلة انحراف عنها، فلابد أن تكون الفطرة مقتضية للإسلام، ولهذا لم يذكر في الحديث تأثير الأبوين في جعل المولود مسلمًا،

لأن ذلـك هو مقتضى الفطرة التي خُلق عليها، فدل على أن الخلقة التي يولد عليها كل مولود تقتضي الإسلام.

- كما أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد شبه المولود يولد على الفطرة بالبهيمة تولد جمعاء، أي: مجتمعة الخَلْق وهـذه صفة كمال فيها، كما شـبه الانحـراف عن الفطرة في المولود بجدع البهيمة[1] وهي صفة نقص عن الكمال الذي كانت عليه، فلابد أن تكون الخلقة التي يولد عليها المولود صفـة كمـال يولـد عليهـا، وأن يكـون التهويـد والتنصيـر والتمجيس صفة نقص يلحق بها، وصفة الكمال الذي يولد عليـه المولود لا يمكـن أن تكون مجـرد القابلية لأن يكون مسـلمًا أو كافـرًا، لأن ذلـك لا يقتضي لذاته مدحًـا ولا ذمًّا وإنمـا يكـون المدح أو الذم بما يلحقه بعـد ذلك، فلا بد أن تكون الفطرة صفة كمال يولد عليها المولود، وهي لا تكون

(١) **الجَـدْع**: قطـع الأنـف، والأذن، والشـفة، ومعنى جدعـاء: مقطوعة الأطراف أو واحِدَها.

كذلك إلَّا إذا وُلِد على ما يقتضي الإسلام، فلا بد أن يولد كل مولود على خلقة مقتضية للإسلام.

- كما أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال بعد روايته للحديث: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾» [الروم:٣٠]، مما يبين أنه فسر الحديث بالآية، وقد أجمع العلماء على أن المراد بالفطرة في الآية الإسلام، وتفسير الراوي أرجح لأنه أعلم بما سمع.

ولذلك لما سُئِلَ أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رجل عليه رقبة مؤمنة، أيجزئ عنه الصبي أن يُعتقه وهو رضيع، فقال: «نعم، لأنه ولد على الفطرة»، يعني الإسلام.

الدليل الخامس:

حديث عياض بن حمار المجاشعي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يروي عن ربه وفيه: «**وإني خلقت عبادي حنفاء**[1] **كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين**

(١) **الحنيف في اللغة وفي نصوص الكتاب والسُّنة**: هو المائل عن الشرك إلى التوحيد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا =

فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا ..». [مسلم]

فقد أخبر الله ـ تعالى ـ أن الشياطين قد صرفت الناس عن مقتضى الخلقة التي خلق الله الناس عليها إلى الشرك، فدل ذلك على أن الشياطين قد أخرجتهم واجتالتهم عن مقتضى الفطرة إلى ما يناقض مقتضاها وهو الشرك، ولذلك سمى الله ما كانوا عليه قبل صرف الشياطين لهم عنه دينًا، ولو كانوا قبل إغواء الشياطين لهم على خلقة لا تقتضي أن يكونوا موحدين لم توصف بهذا الوصف، ولم يكن لاجتيال الشياطين لهم حينئذٍ معنى.

ولهذا لم يذكر في الحديث إلَّا ما يمنع من تحقيق مقتضى الفطرة، وهو اجتيال الشياطين للناس وأمرهم

= ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧]، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس: ١٠٥].

إياهـم بالشـرك، فـدل علـى أن الخلقـة التـي خلقـوا عليها مقتضية للتوحيد ما لم يمنع من تحقق ذلك المقتضى مانع، وهذا هو المقصود بفطرية التوحيد.

الدليل السادس:

اهتـداء الحنفـاء العـرب قبـل البعثـة إلـى التوحيـد: وأخبارهـم فـي ذلك كثيرة، مـن ذلك ما ورد في السُّـنة من أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشـام، باحثًا عن الدين الحق، فالتقى الأحبارَ والرهبانَ، وكلهم يقول له إنه لا يعلم الديـن الحـق إلَّا أن يكـون حنيفًا علـى دين إبراهيـم ـ عليه السـلام ـ: «**فلمـا رأى زيد قولهم في إبراهيم ـ عليه السـلام ـ خـرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشـهد أني على دين إبراهيم**». [البخاري]

قال الحافظ ابن حجر عن زيد هذا: «وكان ممن طلب التوحيـد، وخلع الأوثـان، وجانب الشـرك، لكنه مات قبل المبعث».

وقال عنه ابن كثير: «وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثـان، وفارق دينهم، وكان لا يأكل إلَّا ما ذُبح على اسـم الله وحده».

إن موقـف المتحنفيـن يـدل على أن العبـد قد يصيب الحق بخواطر تجول في نفسـه، وأدلـة قد انتظمت وترتبت بداخله على وجوب التمسـك بـه دون أن تُلقى عليه حُجج وبينـات من خـارج ذاته، ويدل أيضًـا علـى أن بالفطرة قوة تقتضـي: حب الفاطر ووجوبَ عبادتـه وحده، وأن هذا يتم في النفس بغير سـبب منفصل عنها، فوجوده فيها لا يتوقف علـى توفر شـرط، ولكـن على انتفـاء مانع، وهـذا بخلاف إحـداث الكفر فهـو متوقف على وجود شـرط منفصل عن الفطرة وليس على انتفاء مانع خارج عنها، مثل تربية وتنشئة الوالديـن لطفلهمـا عليـه. قـال ـ صلـى الله عليه وسـلم ـ: «**فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**».

ولـو لم يكن ذلك كذلك لاسـتحال أن يصل عبد إلى الحق إلا بعد أن يسـمعه مُدَلَّلًا عليـه بالبينات والحُجَج من خارج نفسه، وهذا بخلاف الواقع.

ما الإسلام الذي تعنيه الفطرة؟

بيَّنَّا أن المقصود بالفطرة في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»: الإسلام، ولسنا نعني بالإسلام هنا الإيمان الذي هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ولا الإسلام (الخاص)[1] الذي يعبر به عن جملة من العقائد والشرائع وغيرها مما لا يُعلم إلا من جهة الوحي الشريف، لأن هذا كله معدوم من الطفل.

لكن المقصود هو: الإسلام (العام) أي التوحيد وإخلاص القصد لله وحده، الذي وصف الله به جميع الأنبياء وأتباعهم.

والفرق بينهما هنا: أن الإسلام (العام) فطري ضروري بديهي أولي لا يستطيع المرءُ له دَفْعًا، ولا يحصل عن طريق الكسب بالنظر والفكر والاستدلال، وهذا مركوز ومغروس في كل البشر، وهم فيه سواء.

أما الإسلام (الخاص): فكسبي يُدرَك بتعلم الأدلة التفصيلية، ويتفاوت فيه الناس تفاوتًا عظيمًا.

---

(١) انظر: ص (٨٠) وما بعدها.

بيان معنى: «أن الفطرة تقتضي الإسلام»

هل الخِلقة التي يُولد عليها المولود مقتضية (أي: مستلزمة) للتوحيد والإسلام، أم أنها قابلةٌ له فحسب؟

بيَّنا فيما مضى الأدلة التي ترجح اقتضاء الفطرةِ الإسلام، وهذا لا يلزم منه أن يتحقق مقتضى الفطرة للإنسان منذ ولادته، فالمولود لا يكون عارفًا بالتوحيد منذ ولادته، وهو ليس مسلمًا بالفعل لأنه لا يعقل شيئًا، ولا يُكَلَّفُ إلا عند البلوغ، قال - تعالى -: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

لكن المقصود أنه قد خُلِق خِلقة مُهَيِّئَة لمعرفة الله وتوحيده إذا أدرك وميز وعقل، فالتوحيد متحقق للمولود بالقوة المقتضية له[١].

(١) ولا يمكن أن يتحقق ذلك المقتضي قبل أن يعقل الطفل ويميز، ويكون له الاختيار بين أن يلتزم بمقتضى الفطرة أو أن ينحرف عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فنفس الفطرة تستلزم: الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئًا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سَلِمت عن المعارض.

شأنها في ذلك شأن كافة الحواس كالسمع، والبصر والنطق... فكما يجوز لنا أن نقول: إن الإنسان ولد ناطقًا مع أننا نجزم بعجزه عنه ساعة ولادته، إلا أنه ينمو معه بنمو جسده، ويتحقق فيه إذا سلم عن معارضه، فكذلك الفطرة سواء بسواء.

وبالجملة: فكلما حصل في الطفل قدر من العلم والإرادة، حصل له قدر من معرفته بربه وحبه مع إخلاص الدين له بما يناسب ذلك»اهـ.

* * *

(٢٢) محور الصراع في تاريخ البشرية

إن المتأمل في حركة التاريخ البشري ـ من خلال القرآن الكريم ـ لا تكاد تخطئ عينه أن الصراع في كل حلقاته إنما دار حول «لا إله إلا الله» الكلمة المقدسة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، والتي مازال الأنبياء وأتباعهم يجابهون بها أهل الشرك والكفران ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج:١٩].

إنه صراع بين دين سماوي واحد هو الإسلام، وبين أديان باطلة تدعو إلى عبادة غير الله، صراع بين حزب الله وهم رسل الله وأتباعهم، وحزب الشيطان وهم أتباع الأديان الباطلة، سواء أكانت ذات أصل سماوي صحيح ثم حُرِّفت، أم كانت أديانًا أرضية صنعها البشر.

لقد بيَّنا فيما مضى كيف كان توحيد العبادة مُفْتَتَحَ دعوة الرسل جميعًا، فما مِن رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة

بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

إن الأمة الحنيفية لم تزل على مر العصور هي القادرة على نشر نور الإسلام في آفاق الدنيا، امتثالًا للتكليف الإلهي، وتحقيقًا للغاية النبيلة التي عبَّر عنها ربعي ابن عامر ـ رضي الله عنه ـ أصدق تعبير حين قال: «الله ابتعثنا لِنُخْرِجَ الناسَ من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة».

وقصة الصراع تحاك وتعاد.. قصة متكررة منذ فجر التاريخ البشري إلى آخر الزمان، يتغير فيها فقط الزمان والمكان وأسماء الرجال المتنازعين، قصة واحدة بين فريقين اختصموا في ربهم، مؤمنين وكافرين: الأحداث متشابهة، تسلسل الفصول واحد، طبيعة الصراع لا تتغير، والنهاية معلومة، والنتائج محتومة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣٧]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة:٢١].

قصة نوح هي قصة هود، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وهي نفسها تتكرر مع حبيب النجار، ومؤمن آل فرعون، وأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق إلى عصور التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا.

* * *

(٢٣) ميثاق المحبة

إن القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية يقولان لنا حقيقةً جليلة عظيمة لم يستطع أن يوصلَها إلينا علمُ الكلام: هي أن عقيدتنا جميلة.

وإن السر الذي تتضمنه عقيدة «لا إله إلا الله»، والذي به غيرت مجرى التاريخ مراتٍ ومرات، والذي به صنعت الشخصيات التاريخية العظيمة في الإسلام؛ إنما يكمن في (جمالها)!.. الجمال: ذلك الشيء الذي لا يُدرَكُ إلا بحاسة القلب.

«لا إله إلا الله» ـ إذ يقولها العبد مستشعرًا دلالتها اللطيفة ـ كلمة (قلبية) مدارها على وصف حال، والاعتراف بذوق صفات الكمال والجلال. إنها تعبير عن الخضوع الوجداني التام لله. نعم! (الوجداني)؛ لأنها ـ ببساطة ـ كذلك وردت في سياقها القرآني الأصيل.

ولـو تأملت هـذه العبـارة العظيمة في اللغـة لوجدتها تقوم على لفظتين أساسـيتين: هما مدار الإسلام كله: (الله) و(الإله).

فأمـا كلمـة: (الله): فهـو لفظ الجـلال، الاسـمُ العَلَم على الذات الإلهية، الاسـم الجامع لكل الأسـماء الحسنى والصفـات الإلهيـة العُلى. ولفـظ (الله) فرد فـي اللغة، فلا يُجمع، ولا يتعدد.

وأمـا كلمة: (الإله) فهو لفظُ وصـفٍ، يدل على معنًى شـعوريٍّ قلبي؛ ولذلـك فهو يتعدد؛ إذ يُجمـع على (آلهة). وأمـا باقـي العبارات في (لا إلـه إلا الله) فهـي (لا) النافية، و(إلا) الحاصـرة، تقومان بـدور البنـاء والتركيب اللغوي؛ للنفـي والإثبات الـذي يربط نوع العلاقة فـي قلب المؤمن بين الصفة: (إله) والاسـم: (الله). وحقيقة تلك العلاقة هي مـا يهمنا هاهنا. إنها علاقة تملأ الوجدان بما يفيض به قلب العبـد المعبـر بها حقًّا وصدقًـا من الاعتقاد والشـعور تجاه مولاه ـ جل وعلا ـ.

ذلك أن كلمة (إله) في أصل الاستعمال اللغوي كلمة قلبية، وجدانية، كما ذكرنا. أعني أنها لفظ من الألفاظ الدالة على أحوال القلب، كالحب، والبغض، والفرح، والحزن، والأسى، والشوق، والرغبة، والرهبة.. إلخ. أصلها قول العرب: «أَلِهَ الفَصيلُ يَأْلَهُ أَلَهًا»، إذا ناح شوقًا إلى أمه. والفصيل: ابن الناقة إذا فُطِمَ وفُصِل عن الرَّضاع، يُحبس في الخيمة، وتُترك أمه في المرعى، حتى إذا طال به الحال ذكر أمه؛ وأخذه الشوق والحنين إليها ـ وهو آنئذٍ حديثُ عهدٍ بالرضاع ـ فناح، وأرغى رُغاء أشبهَ ما يكون بالبكاء. فيقولون: «أَلِهَ الفصيلُ»، فأمه إذن هاهنا هي (إلهه) بالمعنى اللغوي.

جاء في (اللسان): «اسم: (الله): تفرد ـ سبحانه ـ بهذا الاسم، لا يشركه فيه غيره، فإذا قيل: (الإلاه) انطلق على الله ـ سبحانه ـ، وعلى ما يُعبد من الأصنام. وإذا قلتَ: (الله) لم ينطلق إلا عليه ـ سبحانه وتعالى ـ، ...وقيل في اسم الباري ـ سبحانه ـ: إنه مأخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ: إذا تحيَّرَ؛ لأن العقول تَأْلَهُ في عظمته. وأَلِهَ يَأْلَهُ أَلَهًا: أي تحيَّرَ، وأصله وَلِهَ يَوْلَه

وَلَهًا، وقد أَلِهْتُ على فلان: أي اشتد جزعي عليه؛ مثل وَلِهْتُ، وقيل: هو مأخوذ من: أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا، أي: لجأ إليه؛ لأنه ـ سبحانه ـ الْمَفْزَعُ الذي يُلْجَأُ إليه في كل أمر»؛ إذ (الإله) في هذا السياق اللغوي هو: ما يَشُوقُ القلب، ويأخذ بمجامع الوجدان إلى درجة الانقياد له والخضوع. قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣].

و(الوَلَهُ): هو الجنون الحاصل بسبب الحب الشديد، أو الحزن الشديد. يقال: امرأة وَلُوهٌ: إذا أحبت حتى جُنت، أو إذا ثكلت؛ فحزنت حتى جُنت. قال ابن منظور: «الوله: الحزن. وقيل هو ذَهابُ العقل والتحيُّر من شدة الوَجْد، أو الحزن أو الخوف. والوَلَه: ذهاب العقل لِفقدان الحبيب... [و] ناقة ميلاه: هي التي فقدت ولدها فهي تَلِهُ إليه. يقال: وَلَهَتْ إليه تَلِهُ أي تَحِنُّ إليه... وناقة وَالِهٌ: إذا اشتد وَجْدُها على ولدها».

وهكذا فأنت ترى أن مدار المادتين (ألـه) و(وله) هو على معان قلبية، ترجع في مجملها إلى التعلق

الوجداني والامتلاء بالحب، فيكون قول المؤمن: «لا إله إلا الله» تعبيرًا عما يجده في قلبه من تعلق بربه ـ تعالى ـ ، أي لا محبوب إلا الله، ولا مرهوب إلا الله، ولا يملأ عليه عمارة قلبه إلا قصد الله. إنه أشبه ما يكون بذلك الفصيل الصغير الذي ناح شوقًا إلى أمه، إذا أحس بألم الفراق، ووحشة البعد.

إن المسلم إذ (يشهد) أن لا إله إلا الله، يقر شاهدًا على قلبه أنه لا يتعلق إلا بالله رغبة ورهبة وشوقًا ومحبة. وتلك لَعَمْري (شهادة) عظيمة وخطيرة؛ لأنها إقرار واعتراف بشعور لا يدري أحدٌ مصداقَ ما فيه من الصدق إلا الله، ثم الشاهدُ نفسه. ومعاني القلب لا تُحَدُّ بعباراتٍ، ولا تحصرها إشارات. ومن هنا كانت شهادة أن «لا إله إلا الله» من اللطافة بمكان؛ بحيث لا تُدرَك على تمام حقيقتها إلا ذوقًا.

إن العبد لا يكون إلا في باب الخدمة بين يدي مولاه، واقفًا على العتبة ينتظر الأمر والنهي بشوق المحب، ليبادر إلى التنفيذ دون سؤال: علامَ ولِمَهْ؟ ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، إنه الرب

المحبـوب الأعظـم، المرغـوب المرهـوب، رب الكـون والخلـق أجمعيـن. يمكنـك أن تُعَـرِّف عقيدة الإسـلام في نهاية المطاف، فتقول: **إنها ميثاق المحبة بين الله وعباده.**

وبذلـك المعنـى كانـت هـذه العقيـدة تفيـض بأنـوار الجمـال ومباهج الجـلال؛ ولذلك يقول النبـي ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ: «**إن الله ـ تعالـى ـ قـد حرَّم علـى النار من قـال: «لا إله إلا الله» يبتغي بذلـك وجه الله**»، أكلمة واحدة تتلفـظ بها فتدخـل الجنة؟ نعم! ولكن.. إنها ليسـت بكلمة ولا كلمـات؛ إنهـا تَوَجُّـهُ قلبي وميـل وجداني، إنها مسـألة (حـب)، وإن من أحـب اللهَ أحبه اللهُ، ومـن أحبه الله وفقه إلى عبادتـه وطاعته. إنها حقيقة جميلـة وعظيمة، وإن عدم إدراكها ذوقًا ووجدانًا قد كان سببًا في تضييع معاني الدين، وانحراف كثير من الناس عن منهاجه المستقيم.

* * *

(٢٤) صرخة الحرية، وثورة على العبودية

الحريـة عند بني آدم أنشـودة لم ينقطعـوا عن ترديدها عبر الزمان، تغنى بها الشـعراء، ونادى بتحقيقها المصلحون ورجـالات الأمـم، ووُضِعَت المخططـاتُ للحصول عليها والتخلـص مـن أسـر العبوديـة، وبذلـت الأمـم فـي سـبيل تحصيلها الأمـوال والأرواح، وجعلت اليوم الذي حصلت فيـه عليها عيدًا، ومهما قلَّبتَ صفحاتِ التاريخ، ونظرتَ في حياة الشـعوب فإنك لن تجد أمة تسـتعذب طعـم العبودية، وتمقت الحرية.

ولكـنَّ دائـرة العبوديـة التـي يهـرب منها البشـر دائرة ضيقـة، يظنون أنهـم إن تخلصوا منها فقد تحـرروا، وواقع الأمر ليس كذلك، فتراهم يرسفون في قيود العبودية المقيتة وهم لا يشـعرون، ويحتفلون بأعيـاد الحرية وهم غرقى في أسر العبودية الذميمة.

إن العبودية التي يمقتها الناس هي التي تجعل الإنسان مملـوكًا لغيـره بحيث يُصبـح متاعًا يُباع ويُشـترى لا يملك

أمر نفسه، ويَعُدُّ البشر من العبودية والهوان أن تَستذلَّ دولةٌ دولة، وجماعة جماعة، وأمة أمة.

وهذا النوع من استعلاء البشر يرفضه من أصابهم ويجاهدون في سبيل الخلاص منه، وإن رضيه ضعاف النفوس الذين استمرؤوا الظلم،ورضوا بمعيشة الهوان.

ذَلَّ من يغبطُ الذليلَ بعيشٍ

رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ

تفاوت الناس في فهمهم للحرية:

الحرية كلمة واحدة، لكن فَهِمَها الناس بصور متعددة، فالحرية من أوسع المفاهيم الإنسانية، وأكثرها تعريفًا، وقد ذكر بعض الباحثين أن لها أكثر من مائتي تعريف، وقال مونتيسكيو في كتابه «روح القوانين»: «ليس هناك لفظ تلقي من الدلالات المختلفة أكثر مما تلقاه لفظ الحرية».

ومن هنا استُعملت في غير معناها الحقيقي، واستُغلت كشعار براق تُزَيَّن به مذاهب فكرية، ونظم سياسية، واجتماعية.

الحرية في المفهوم الغربي

يقول «برتراند راسل»: «إن الحرية بشكل عام يجب أن تُعَرَّفَ على أنها: غياب الحواجز أمام تحقيق الرغبات».

إن الحرية في المفهوم الغربي قائمة على أن الإنسان هو مركز الكون، وأنه يستقل بأمر نفسه، فلا يلزم أن يُقيِّدَ حريتَه قيدٌ، ولا فرق بينه وبين البهيمة المرسلة إلا في شيء واحد هو: إعطاء الحقِّ لإنسانٍ آخرَ مثلِه، فالقيد الوحيد الذي يَرِدُ على حرية الفرد هو التعارض مع حرية الآخرين، وما عداه من قيود إهدار للحرية.

- والحرية عندهم مرتبطة بعالَم الشهادة مع تنحية أي شيء له تعلق بالغيب[1]:

(١) فمقر الإنسان الوحيد في زعمهم هو هذه الحياة الدنيا، وهي أرضنا الموعودة، ولا جدوى من البحث عن السعادة في غيرها، ولهذا أخذوا يعبون من الشهوات لأن الدنيا هي فرصتهم الوحيدة، فعليهم أن يحيوا لاستيفاء الاستمتاع بها.

- فالإلـه: إما أنه لا وجود له، كما يقول الملاحدة من فلاسفتهم.

- أو أن هنـاك إلهًـا، لكنـه خلق العالم، ثـم حرَّكه، ثم انسـحب وتركه يدبر أمر نفسـه، ولا يدري عنه شـيئًا، وهذا مفهوم «أرسطو» للإله، إله له الخلق، لكن ليس له «الأمر»، يملـك ولا يحكـم كملـك الإنكليـز، تعالى الله عمـا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قـال تعالـى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنـون:١١٥]، وقـال سـبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامـة:٣٦]، أي هَمَـلًا لا يُكَلَّـفُ ولا يُؤمَـر ولا يُنهى؟

* * *

المفهوم الصحيح للحرية

الطريق إلى الحرية الحقيقية واحدٌ لا ثاني له، ألا وهو العبودية لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، كما بينه الله ـ تعالى ـ القائل: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

إن الحرية الحقيقية هي التحرر من عبادة غير الله، وإفراد الله ـ سبحانه ـ باستحقاق العبودية، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

إن كلمة «لا إله إلا الله» ـ التي هي (صرخة الحرية) ـ تبدأ بثورة ممثلة في شق النفي: «لا إله» التي تعني الكفر بكل ما عُبد من دون الله، قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ [1]

(١) **الطاغوت**: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ويُطلق على الشيطان والكُهان، وكل ما عُبد من دون **الله**، وقد حَدَّه الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ حدًّا جامعًا، فقال: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبدُ حَدَّه، من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم: مَن يتحاكمون إليه غير **الله** ورسوله، أو يعبدونه من دون **الله**، أو يتبعونه على غير بصيرة من **الله**، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة **لله**» اهـ.

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وهو نفس ما صَرَّح به خليل الرحمن ـ عليه السلام ـ حين خاطب قومه قائلًا: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

إن الإنسان فقير بذاته يتطلع بفطرته إلى الخضوع والذل و(العبودية) لخالقه وفاطره الغني بذاته:

والفقرُ وصفُ ذاتٍ لازمٌ لي أبدًا
كما الغنى أبدًا وصفٌ له ذاتي

فمِن ثَمَّ لا يستقيم حاله، ولا يطمئن قلبه، إلا إذا آوى إلى مولاه، وطرح نفسه على عتبته، وأمعن في العبودية الخالصة له دون سواه، إذ إن هذه (العبودية) هي أرقى مراتب الحرية، لأن العبد إذا تذلل إلى مولاه وحده فإنه يتحرر من كل سلطان، فلا يتوجه قلبه، ولا يطأطئ رأسه إلا لخالق السماوات والأرض.

ولابد للإنسان من (العبودية) فإن وضعها موضعَها، وإلا تلطخ بالعبودية لغير الله ـ تعالى ـ من الأنداد والشياطين، والمسلم يتحرر بإسلامه من سيطرة الهوى والشهوة، والسلطان الذي يسيطر عليه هو سلطان الدين الحنيف، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، إذن هي حرية في صورة العبودية، ولا يمكن للبشرية أن تتحرر حقًّا إلا بتحقيق هذه العبودية.

إن الحرية في غير الإسلام تصبح جوفاء لا معنى لها، بل هي العبودية المذلة المهينة، وإن بدت في صورة الحرية، إن الخضوع للطواغيت والمناهج والقوانين التي بُنيت على ما تهواه الأنفس بعيدًا عن تشريع الخالق ـ جل وعلا ـ إنما هو عبودية لغير الله، وأيُّ عبودية؟!

هربوا من الرِّقِّ الذي خُلِقوا له
فَبُلُوا بِرِقِّ النفسِ والشيطانِ

ومن ذلَّ وخضع لغير الله؛ فقد انتقص من حرية نفسه، بمقدار خضوعه وذلته لغير ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ.

إن مفهوم العبودية لله في الإسلام يعني الحرِّيةَ في أرقى صورها وأكمل مراتبها، العبودية لله إذا كانت صادقة تعني التحرر من سلطان المخلوقات والتعبد لها، فالمسلم ينظر إلى هذا الوجود نظرة صاحب السلطان، فالله خلق كل ما فيه من أجلنا، وسخَّره لنا: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ ﴾ [الجاثية:١٣].

وما دام الأمر كذلك فالمسلم لن يخضع لهذه المخلوقات، ولن يقصدها؛ لأنها أقل منه شأنًا[1]، فهي مخلوقة لنفعه، ومُسَخَّرة لخدمته.

(١) وإن تعجبْ فعجبٌ قولُ الزعيم الهندوسي «غاندي» وهو يفتخر بإلهه «البقرة»!: «عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيوانًا لأني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع». ولقد قاده عقله إلى تفضيل أمِّه البقرة على أمِّه التي ولدته: «وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأمُّ الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين، وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكنَّ أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا ولا تطلب منَّا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادي..» ومضى عابد البقرة يقارن بين أمه البقرة وأمه الحقيقية موردًا الحجج والبراهين على أفضلية أمه البقرة على أمه الحقيقية إلى أن قال: «إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أعدُّ نفسي =

والمسلم لن يستعبده إنسان مثله، فالناس جميعًا عبيد الله، فإن حاول بعض المتمردين من بني الإنسان أن يطغى ويبغي ـ وقف المسلم في وجهه يقول كلمة الحق، ويذكِّر هؤلاء بأصلهم الذي منه خُلِقوا، ومصيرِهم الذي لا بدَّ لهم منه، ويذكِّر هؤلاء بضعفهم وعجزهم، علَّهم يفيقون ويرجعون، وبالعبودية لله يتحرَّر الإنسان من أَهْوائِهِ، فالهوى شَرُّ وثنٍ يُعْبد: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣] فالهوى قد يُجعل إلهًا معبودًا يسيطر على نفس صاحبه، فلا يصدر إلَّا عن هواه، ولا يسعى إلَّا لتحقيق ما يبعثه إليه، والإسلام يعتبر الخضوع لأهواء النفس التي تدعو إلى المحرمات والآثام عبودية لهذه الأمور، أمَّا التسامي عمَّا تدعو إليه النفس من المحرَّمات ـ وإن كانت

= واحدًا من هؤلاء الملايين».

وفي «الهند» أيضًا: معبد فخم مَكْسوٌّ بالرخام الأبيض تُرسَل إليه الهدايا والألطاف من شتى أنحاء الهند، بقي أن تعلم أن الآلهة التي تُقدم لها القرابين، وترسَل لها النذور في ذلك المعبد الفخم إنما هي الفئران.

محبوبة للنفوس ـ فإنه يمثل في الإسلام الحرية الحقَّة، لأنَّه وإن قيدت حرِّيته من جهة، بأن أُلزِم بترك بعض ما يشتهي، إلَّا أنَّه تحرَّر من سلطان الهوى من جهة أخرى.

والذين يزعمون أنهم يستطيعون تحقيق الحرية بعيدًا عن الله ومنهجه مخطئون، لأنَّ الإنسان، بل كل مخلوق، سيبقى عبدًا شاء أم أبى، إلَّا أنَّه إن رفض الخضوع لله اختيارًا؛ فسيخضع لمخلوق مثله، لا يملك له نفعًا ولا ضرًّا، بل قد يخضع لمن هو أقل منه شأنًا، وبذلك يكون قد استبدل عبودية بعبودية، ولم يخرج من العبودية إلى الحرية، بل خرج من عبودية الله إلى عبودية الطاغوت، وثنًا، أو صنمًا، أو بشرًا، أو شمسًا، أو قمرًا...، وقد ذمَّ الله كلَّ من كانت هذه صفته قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة:٦٠]، فمما ابتلاهم به جزاءَ تكذيبهم أن جعلهم عبيدًا للطواغيت بعد أن كانوا عبيدًا لله.

ولقد صدق مُوفَد المسلمين، وبرَّ حين واجه قائد الفرس قائلًا: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى

عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة»، وكل من لم يرض بالإسلام دينًا، وبحكمه حُكْمًا، فإنَّه غارق في قاذورات الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، والذين يرفضون أن يكون الله معبودهم فإنَّهم يهينون أنفسهم بتعبيدها لمخلوقات أقل منها شأنًا، وأحقر منزلة، وهم في ذلك يَدُسُّون هذه النفوسَ، والإسلام يعدُّ الذي يكون جلَّ همِّه وغايةَ مطلبه الدينارُ والدرهمُ والملبسُ والمأكلُ، عبدًا لهذه التي سيطرت على نفسه: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار، تعس عبد الدرهم، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»[1].

[البخاري]

(١) (**الخميصة**): ثوب خَزٍّ، أو صوف مُعَلَّم، وقوله (**انتكس**)، أي صار ذليلًا، وهذا دعاء عليه. وقوله (**شِيك**) أي دخل الشوك في عضوه. (**فلا انتقش**): دعاء عليه بأن لا يقدر على إخراجه.

والعبـد المحض: عبد الماء والطين، الذي قد اسـتعبدته نفسـه وشـهوته، وملكته وقهرتـه، فانقاد لها انقيـاد العبد إلى سيده الحاكم عليه.

فالحـر: من تخلص مـن رِقِّ الماء والطـين، وفاز بعبودية رب العالمـين، فاجتمعت له العبودية والحريـة، فعبوديته من كمال حريته، وحريته من كمال عبوديته»اهـ.

وغايـة شرف النفس دخولُها تحـت رِقِّ العبودية: طوعًا واختيارًا ومحبة، لا كرهًا وقهرًا كما قيل:

شرفُ النفوسِ دخولُها في رِقِّهم

والعبدُ يحوي الفخرَ بالتمليك

فالعبادة ظاهرها تذلل، وحقيقتها تعزُّز وتجمُّل:

قال الشاعر:

وإذا تذللتِ الـرقـابُ تخشعًا

مِـنـا إليــك فـعِـزُّهـا في ذُلِّهـا

وقال آخر:

قــوم تخللهم زَهْـــوٌ بسيدهم
والعبدُ يزهو على مقدار مولاهُ

تــاهــوا بــه عَــمَّــن ســـواه له
يا حُسْنَ رؤيتهم في حُسْنِ ما تاهوا

وقال آخر:

ومـــا زادني عِـــزًّا وفــخــرًا
وكـــدت بـأخمـصي أطـأ الـثريـا

دخـولي تحت قولك يا عبادي
وأن صـــيَّرتَ أحمـــدَ لي نبيا

❋ ❋ ❋

درجات الأحرار

الناس من حيث اتصافهم بالحرية درجات:

ـ فمن الحرية ما هو أفرض الفروض، وأوجب الواجبات على كل المكلفين، لا عذر لأحدٍ منهم في التخلف عنه، ألا وهو التحرر من عبادة ما سوى الله، وتوحيد الله ـ تعالى ـ باستحقاق العبادة، وذلك بشهادة أن لا إله إلا الله، ثم توحيد الطريق الموصلة إليه باتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وذلك بتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به إلا كان من أصحاب النار**».

ـ ومنها درجات يتفاضل فيها المسلمون تفاضلًا عظيمًا، فإن كمال المخلوق في تحقيق العبودية لله، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله، وعَلَتْ درجتُه.

ويتسنم الذروةَ السامقة، والقمةَ الشاهقة في تحقيق هذه الحرية، عبدُ الله ورسولهُ محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيُّ الله المجتبى، ورسولُه المصطفى، وخليلُه المرتَضى، خاتَم الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيدُ المرسلين، المبعوثُ إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

ولولا أن الوصف بالعبودية لله أشرف وأكمل أوصاف المخلوقين لما شرفه الله به في أعلى وأسمى وأشرف المقامات:

فقد وصفه ربه بالعبودية في مقام الوحي، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف:١]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الحديد:٩]، وقال ـ سبحانه ـ في مقام الجمع بين الوحي والجهاد: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال:٤١].

ووصفه بالعبودية في مقام الدعوة، فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن:١٩].

وفي مقام الإسراء فقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ [الإسراء:١].

وفي مقام التحدي فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

وفي مقام النصرة والتأييد قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول على المنبر: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**لا تُطْرُوني** ـ أي: لا تمدحوني ـ **كما أَطْرَتِ النصارى عيسى ابنَ مريم**[1]**، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**».

(١) فَغَلَوْا فيه حتى ادَّعَوْا فيه الألوهية.

وحين خُيِّر ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين النبوة مع العبودية، وبين النبوة مع الملك اختار أن يكون نبيًّا عبدًا.

وعن يحيى بن سعيد، قال: كنا عند علي بن الحسين فجاء قوم من الكوفيين، فقال علي: يا أهل العراق أحِبونا حبَّ الإسلام، سمعتُ أبي يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**يا أيها الناس! لا ترفعوني فوق قدري، فإن الله اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًّا**»، فذكرته لسعيد بن المسيب، فقال: وبعدما اتخذه نبيًّا. [صحيح]

وقد صلَّى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**». [متفق عليه]

ويلي رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الدرجة من العبودية التي هي الحرية الحقيقية: إخوانه أولو العزم من الرسل ثم سائر الرسل ثم الأنبياء الذين قال

ـ تعالى ـ في حقهم: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

ثم يأتي في مقام الحرية الكاملة أتباعُ الرسل ـ عليهم السلام ـ وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ.

أسير لكنه حر:

وقد تتحقق هذه الحرية الكاملة لمن هو في الظاهر مقيدٌ سجين، قال الشاعر:

أخي أنت حُرٌّ بتلك القيودْ
أخي أنت حر وراءَ السدودْ
إذا كنتَ باللهِ مُستعصِمًا
فماذا يَضيرُك كيدُ العبيد

وهـذا شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة ـ رحمـه الله ـ يضع تعريفًا عجيبًا للحبس، فيقول:

«المحبـوس: من حُبِس قلبُه عن ربه، والمأسـور: من أسره هواه».

* * *

العداوة بين الوحي والهوى

بيَّن ـ عزَّ وجلَّ ـ أن الهوى إله باطل يعبده بعض الناس من دون الله الحق، ويتحرر الإنسان من اتباع الهوى، باتباع الوحي والهدى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٣].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:٢٣].

ومصدر الهدى ينحصر في الوحي الإلهي:

قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ [سبأ:٥٠].

ولذلك أمر ـ تعالى ـ باتباعه والتمسك به:

قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٩].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف:٤٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص:٢٦].

وامتثل ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر ربه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾ [الأعراف:٢٠٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [يونس:١٥].

وحذره ـ عزَّ وجلَّ ـ من اتباع أهوائهم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٤٨].

والوحي والهوى ضِدَّانِ لا يجتمعان:

قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾ [القصص:٥٠].

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [البقرة:٨٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٣].

* * *

تحريرُ التوحيدِ الإنسانَ
من عبودية المناهج والأفكار والتشريعات

تاهت البشرية في عبودية من نوع آخر، وهي عبودية المناهج والأفكار، فالبشر في كل عصر وجيل تتفتق أذهان أذكيائهم وفلاسفتهم عن مبادئ ومناهج وقوانين ونظريات، يُحَكِّمونها في رقاب العباد، وهي مناهج وقوانين تحاد شرع الله وحكمه، وقد شاء الله أن يكون الحكم بين العباد بيده دون سواه، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، ولم يرض الحق أن يُتخذَ معه شريك في حكمه ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]، وقد ذَمَّ الله اليهود والنصارى الذين أطاعوا أحبارهم ورهبانهم عندما خالفوا الشرع الذي بأيديهم، فأحلوا وحَرَّموا بآرائهم، وقال فيهم ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة:٣١]، ولكن الأمر العجيب أن أكثر الناس في كل العصور يرفضون منهج الله ـ تعالى ـ وحكمه، ويرتضون قوانين البشر وأحكامهم التي تُعَبِّدُهم

للعبـاد، وقوانينُ البشـر ومبادؤهم مختلفـة متضاربة، وكل فريـق يزعـم أنه على الحـق والهدى، وأن منهجـه هو الذي يحرر الإنسـان، ويجلب لـه الخير والهنـاء، ويقوم الصراع بيـن أتبـاع المناهـج وينتهـي في أغلـب الأحيـان بحروب تُحْرِق الأخضرَ واليابس.

لقـد أنـزل الله الكتـاب فـي كل العصـور ليحكم بين النـاس فيما اختلفوا فيه، فيُحِقُّ الحـقَّ ويبطل الباطل ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣].

إن الحريـة فـي الإسـلام تقـرر فـي صـورة العبودية، إن الحريـة تعنـي أن تُعَبِّـدَ نفسَـك لله وحده، فـي توجهات قلبـك وعقائـده، وفي مسـار فكرك ونوازعـه، وفي أقوالك وأفعالك، وفي القوانين التي تهيمن على المجتمع وتُسَيِّرُه،

وكثير من الحريات التي يتشدق بها العباد في هذا العصر، إنما هي العبودية في نظر الإسلام، ولنعتبر هذا بما يُسمى بالديمقراطية اليوم، فالبشر يرون أن تحقيق الديمقراطية هو قمة الحرية التي يمكن أن يُحَصِّلَها العباد اليوم، حيث ينتخبون ممثلين عنهم يشرعون للأمة ما يشاؤون، وهذا في تصور الإسلام عبودية البشر للبشر، وتأليه البشر للبشر، فليس من حق العباد أن يشرعوا فينا ما لم يأذن به الله، وليس من حقهم أن يقودوا الحياة بمجرد فكرهم، فإن فعلوا فهم أرباب من دون الله، وقد ذم الله اليهود والنصارى لكونهم اتخذوا علماءهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وعلمنا من تفسير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن المراد بجعلهم أربابًا من دون الله هو متابعة اليهود والنصارى علماءهم ورهبانهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله.

ولا مشكلة عند عبيد الأهواء في:

ـ أن يشهد العبد بأن «لا إله، والحياة مادة» لأن الإلحاد في زعمهم حق لمن شاء أن يدين به، وذلك طبقًا لمبدأ حرية الاعتقاد.

ـ ولا مشكلة لديهم في أن يشهد العبد أن «لا ربَّ إلا الله» لأن هـذا هو توحيـد الربوبية بمعنى أنه هنا يقـرر بأن الله له وحده الخَلْق.

ـ وليس لديهم مشكلة كبيرة في أن تقول: «الله إله».

ـ وليـس لديهـم مشـكلة في أن تقـول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤].

إن المعضلـة الكبـرى عندهـم في هـذه الكلمـة التي تنسـف الآلهة الباطلة نسـفًا: «لا إله إلا الله» أي: لا إله حق يسـتحق أن يُفـرد بالعبـادة إلا الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ، مشـكلتهم الكبرى في (الحَصْر) الذي يفيده النفيُ والاستثناء.

فالأديـان عندهم متسـاوية، ولا يجـوز عندهم أن نرفع شعار «الإسلام يعلو ولا يُعْلىٰ».

ولا يجـوز عندهـم التفريق بسـبب العقيدة بـين المؤمن والكافر لأن هذا (تمييز).

إن المشـكلة عندهم ليسـت في قول: «ألا لـه الخَلْقُ» ولكنهـا فـي قـول الله ـ تعالـى ـ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٥].

وليست المشكلة في قول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ لكنها في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤].

ليست المشكلة في أن تقول: «الإسلام دين» لكنها في أن تقول: الإسلام هو الدين الحق الوحيد في هذا الوجود، وما عداه باطل.

ليست المشكلة عندهم في (اتباع الهوى) لكن المشكلة كل المشكلة في (اتباع الوحي الإلهي) فيما يتعلق بقيادة سفينة المجتمع، وتوجيه مسيرته.

ومن مظاهر تحرير «لا إله إلا الله» للبشر:

- **تحريرهم من عبادة مظاهر الطبيعة** واتخاذها آلهة من دون الله، مع أن هذه المظاهر ـ في منطق الإسلام ـ آيات باهرة دالة على قدرة الله، وهي مقهورة مربوبة مطيعة لله ربها، لا تعصي له أمرًا، فقد خلق الحق الأرض والسماء ثم خاطبهما قائلًا: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]، وهذه المخلوقات تعبد الله، فتسبح له، وتسجد له، تسبيحًا لا نفقهه، وسجودًا لا نعرف كيفيته،

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ [الإسراء:٤٤]،

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨].

لقد شرح كل رسول لقومه شيئًا من حقيقة الكون ووظائفه كيلا يقعوا في أسار الوهم والخرافة، وكيلا يضلوا في مسيرة الحياة: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧].

- وتحريرهم من عبادة الأوثان والأصنام:

فقد كان المشركون يصنعون الأصنام بأيديهم، ثم يدْعونها ويخضعون لها، ويدسون الميت في التراب بأيديهم، ثم يستغيثون به، ويقصدونه بأعمالهم ونياتهم،

وأرسل الله رسله لتخليص العباد من هذه اللوثة التي عَبَّدتهم للأشجار والأحجار والأموات، وقد بذل الرسل في سبيل تبصير العباد جهودًا هائلة، ناظروهم وحاوروهم وجادلوهم، وضربوا لهم الأمثال، وصبروا على أذاهم: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء:٧٢-٧٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣].

- وتحريرهم من عبادة البشر:

فقد اتخذ بعضُ الناس بشرًا مثلَهم أربابًا من دون الله، فقد أحاطوا بعض البشر بهالة من الأساطير، فجعلوهم من نسل الآلهة، وزعموا أن لهم طبيعة غير طبيعة البشر، وأن الدماء الزرقاء تجري في عروقهم، بعض هؤلاء البشر كانوا ملوكًا أرادوا إخضاع العباد لأهوائهم، وبعضهم كانوا صالحين قدسهم الناس من حيث

لا يريد أولئك الصالحون مثل هذا التقديس، من الفريق الأول: فرعون الذي ادعى الألوهية، فصاح فيهم مناديًا: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات:٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]، ومن الفريق الثاني: الذين غَلَوْا في عيسى ـ عليه السلام ـ فزعموا أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ـ تعالى الله عما يقولونه علوًّا كبيرًا ـ.

وأرسل الله رسله لتخليص البشر من رق العبودية للعباد، فقد أرسل الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون وملئه، وقال لهما: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣، ٤٤]، وطالباه بأن يدع بني إسرائيل وشأنهم ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه:٤٧]، لقد أراد من فرعون أن يتخلى عن كبريائه ويخضع لرب العالمين، وأن يُعتق بني إسرائيل من ذل العبودية، ويأذن لهم في الخروج من بلده.

وحدثنا قرآننا عن خبر عيسى، فأكذب ما ادعاه الداعون في أمره، وقرر أنه عبد الله ورسوله، وكلمته أوحاها إلى مريم وروح منه، مثله في ذلك مثل آدم ـ عليه السلام ـ خلقه من تراب ثم قال له كن، فكان كما شاء الله أن يكون.

إن الإسلام جاء ليحرر العباد من عبودية العباد إلى عبادة الله وحده، وقد أعلن الدعاة الأوائل هذه الحقيقة حينما كانوا يغدون إلى مقابلة عظماء الفرس والروم، فقد كانوا يسألونهم عن هدفهم الذي خرجوا من أجله من ديارهم، فيقولون: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

وقد دعا القرآن أهل الكتاب إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك ما يعبدونه من دونه من أنداد، وبذلك يجتمع الناس على كلمة سواء: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

«ولما كان الأنبياء هم مظنة أن يتجه إليهم الناس بشيء من العبادة، أو ما في معناها على وجه من الوجوه، فقد عني الإسلام بتحرير وجدان البشرية من هذه الناحية تحريرًا كاملًا. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩، ٨٠].

ويقول عن نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ويقول ـ تبارك وتعالى ـ في شأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧].

ويأمره أن يجهر بحقيقة موقفه جهرًا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢٠-٢٢].

ويتحدث عمن ألهوا عيسى ابن مريم، فيصمهم بالكفر والسخف: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ [المائدة:١٧].

ويقول عن المسيح في موضع آخر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩].

ويعرض مشهدًا من مشاهد يوم القيامة يستجوب فيه عيسى ابن مريم عما زعمه بعض الناس عنه من ألوهية؛ ويثبت براءة عيسى من هذا الزعم الذي لا يد له فيه، في أسلوب قوي أخاذ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ

مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٦-١١٨].

وأخيرًا:

فإن مظاهر تحرير «لا إله إلا الله» للكائن الإنساني عديدة، فإلى جانب ما تقدم:

ـ هناك تحرير الإنسان من عبودية الشهوات واللذائذ والرغبات في منهج متوازن يلبي أشواق الفطرة، ويحفظ حرماتِ الناس، ويصون حرماتِ الله، ويعطي كلَّ ذي حق حقَّه.

ـ وهناك تحريره من عبودية القيم الاجتماعية الظالمة قيم المال والجاه والحسب والنسب في ضوء القاعدة الإلهية العادلة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

[الحجرات:١٣]

ـ وهنـاك تحريـره مـن عبودية الخـوف علـى الحياة، والقلـق على الرزق، بضمـانِ جريـانِ القَدَرِ السـابقِ بكتابةِ الرزق والأجل.

ـ وهنـاك التحـرر مـن مِنة الخلـق بسـؤال الله وحده، وإيقاع الحاجات به دون سواه، لأن الله هو الصَّمَد.

– وهنـاك تحريـر الرقاب، ومنهج الإسـلام الرائع في التعامل مع قضية الرق.

* * *

(٢٥) الرابطة الحقيقية بين أهل الإسلام

إن «لا إلـه إلا الله»، هي الرابطـة الحقيقية التي اجتمع عليها أهلُ الإسـلام، فبها يُحبون ويوالون، وعليها يُبغِضون ويعـادون، وبسـببها أصبـح المجتمـع المسـلم كالجسـد الواحد إذا اشـتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضُه بعضًا.

وبشـهادة أن «لا إلـه إلا الله»، تنعقـد آصـرة الأخـوة الإيمانية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**المسلم أخو المسلم**». [مسلم]

وبهـا ينـال المؤمـن اسـتغفارَ النبـي ـ صلـى الله عليه وسـلم ـ قـال ـ تعالـى ـ : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، واسـتغفارَ الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧]، وشـفاعة رسـول الله ـ صلى الله عليه وسـلم

ـ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» [مسلم]، وبها يَشْرُفُ بمشاركة الله ـ تعالى ـ في اسمه ـ المؤمن.

وبها ينال المسلمُ أبوةَ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨]، وبها تصبح زوجاتُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمهاتٍ له، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وفي قراءة أُبيٍّ: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم».

ولهذا تفرع على هذه الأبوة أن جُعلت أزواجُه أمهاتهم، فإن أرواحهم وقلوبهم وُلدت به ولادة أخرى غير ولادة الأمهات، فإنه أخرج أرواحهم وقلوبهم من ظلمات الجهل والضلال والغيِّ إلى نور العلم والإيمان وفضاء المعرفة والتوحيد، فشاهدتْ حقائق أُخر وأمورًا لم يكن لها بها شعور قبله.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم يومًا: «**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أُعَلِّمكم**» الحديث. [حسن]

وبها ينتسب المؤمن إلى خير أمة أُخرِجت للناس، فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله.. ومِن ثَمَّ يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج.

والمؤمن ذو نسب عريق، ضارب في شِعاب الزمان، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسى وعيسى ومحمد.. ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.. ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:٥٢].

لقد ربط الإسلام المسلم بأخيه حتى صارا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربْطُ الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمِعصَمك، ورجلك بساقك، كما جاء في الحديث عن

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إن مَثَلَ المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» [متفق عليه]، ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاقُ النفس، وإرادةُ الأخ تنبيهًا على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ [البقرة:٨٤]، أي: لا تخرجون إخوانكم، وكقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١٢]، أي: بإخوانهم على أصح التفسيرين، وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١]، الآية. أي: إخوانكم على أصح التفسيرين، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ [البقرة:١٨٨]، أي: لا يأكلْ أحدُكم مالَ أخيه، إلى غير ذلك من الآيات، ولذلك ثبت في الصحيح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه**». [مسلم]

ومـن الآيـات الدالـة علـى أن الرابطـة الحقيقيـة هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميعُ الروابط النسَبية والعصبية، قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]؛ إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، وقولـه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، وقولـه: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، إلـى غير ذلك من الآيات.

إن الرابطـة الحقيقيـة التـي تجمـع المفتـرق، وتؤلف المختلـف هـي رابطـة «لا إلـه إلا الله»، ألا تـرى أن هـذه الرابطـة التـي تجعـل المجتمـع الإسـلامي كله كأنه جسـد واحـد، وتجعلـه كالبنيـان يشـد بعضـه بعضًـا؛ عطفـت قلـوب حملـة العـرش ومـن حولـه مـن الملائكـة علـى بنـي آدم فـي الأرض مـع مـا بينهـم مـن الاختـلاف، قـال

ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [غافر:٧-٩].

فقد أشار ـ تعالى ـ إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دَعَوُا الله لهم هذا الدعاءَ الصالحَ العظيم؛ إنما هي الإيمان بالله ـ جل وعلا ـ، لأنه قال عن الملائكة: ﴿ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [غافر:٧]، فوصفهم بالإيمان، وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم: ﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر:٧]، فوصفهم أيضًا بالإيمان، فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان، وهو أعظم رابطة.

ومما يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ في أبي لهب عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد:٣]، ويُقابَلُ ذلك بما لسلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ من الفضل والمكانة عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين، ولقد أجاد من قال:

عليك بتقوى الله في كل حالة
ولا تتركِ التقوى اتكالًا على النسب
فقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ
وقد وضع الكفرُ الشريفَ أبا لهب

وقد أجمع العلماء على أن الرجل إن مات، وليس له من الأقرباء إلا ابن كافر؛ أن إرثه يكون للمسلمين بأخوة الإسلام، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر، والميراث دليل القرابة، فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من البنوة النسبية.

واعتبِر ذلك أيضًا بقول الله ـ تعالى ـ مخاطبًا نوحًا ـ عليه السلام ـ في شأن ابنه الكافر: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦]، لأن مدار الأهلية هو القرابة

الدينية، كما قال أمير المؤمنين عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ: «ألا وإن وليَّ محمدٍ من أطاع الله، وإن بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، ألا وإن عدو محمد من عصى الله، وإن قربت لحمته».

كان الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ يقرأ أجزاء على شيخه إبراهيم بن داود الآمدي برهان الدين، فقال في قراءته عليه تأدبًا: «أخبركم ـ رضي الله عنكم وعن والديكم ـ»، فنظر إليه الآمدي منكِرًا، وقال: «ما كان على الإسلام»[1].

لقد علَّمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يجب موالاة كل مسلم بحسب موالاته لله ورسوله والمؤمنين، وأنه يُحب، ويوالَى بقدر نصرته للمؤمنين، ونكايته في أعداء الدين:

قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥، ٥٦].

(١) لأن أباه مات على النصرانية وهو صغير، فحمله وصيه الشيخ عبد الله الدمشقي إلى مجلس شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، فأسلم عليه.

وقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١].

ولما فقد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جُلَيبيبًا ـ رضي الله عنه ـ بعد غزوٍ له، بحثوا عنه في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوقف عليه، فقال: «**قتل سبعة، ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه**»، قال: فوضعه على ساعديه، ليس له سرير إلا ساعدا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، قال: فحُفِر له، ووُضع في قبره، ولم يذكر غُسْلًا. [مسلم]

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**إن الأشعريين إذا أرملوا**[1] **في الغزو، أو قَلَّ طعامُ عيالهم في المدينة؛ جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم**». [متفق عليه]

(١) أرملوا: فني زادُهم ونَفَدَ.

هكـذا لقَّـن رسـول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ أمته هـذا المعيار الدقيق للولاء والانتماء، وفي الجانب المقابل لقنهم معيار البراء فيما رُوي من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ليـس منـا من دعا إلـى عصبية، وليس منا مـن قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**». [ضعيف]

* * *

(٢٦) شعار الإسلام الباقي

بعد اندراس الشرائع

كلمة التوحيد «لا إله إلَّا الله» هي آخر ما يبقى من الإسلام في الأرض بعد رفع العلم، واندراس الشرائع، ورفع القرآن الكريم من المصاحف والصدور.

فعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ**[١] **وَشْيُ الثوب**[٢]**، حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ، وَلَيُسْرى على كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في ليلةٍ، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخ الكبيرُ والعجوزُ، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلَّا الله)، فنحن نقولها**»، وزاد الحاكم في روايته: قال صِلَةُ بنُ زُفَر لحذيفة: ما تُغني عنهم: (لا إله إلَّا الله)، وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ،

(١) **يَدْرُس**: من درس الرسم دروسًا، إذا عفا وهلك.

(٢) **وَشْيُ الثوب**: نقشه.

ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ؟، فأعرض عنه حذيفة، ثم رَدَّها عليه ثلاثًا، كل ذلك يُعْرِضُ عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: «يا صلة! تنجيهم من النار ـ ثلاثًا». [صحيح]

* * *

(٢٧) ميلاد جديد

«أشعر كأني وُلِدتُ من جديد»

عبارة مألوفة تجري على ألسنة المهتدين إلى الإسلام بعد أن ينطقوا بشهادة التوحيد، وينضموا إلى موكب الموحِّدين.

ومن الطريف أن يُسأل كبار السن منهم عن عمرهم في بعض المجالس فيجيب أحدهم بأن عمره مثلًا سبع سنوات أو أقل أو أكثر، فيحسبهم الجاهل بحالهم يمزحون، وما هي بمزحة ولكنها الحقيقة: إنه يعني أنه وُلد من جديد، ووهبه الله الحياة الحقيقية في اليوم الذي أشرق فيه قلبُه بنور «لا إله إلا الله»، ودبت في جسده الميتِ بالكفر روحُ «لا إله إلا الله»، وذاق حلاوة الإيمان، وعاش الحياة الطيبة حين نطق «لا إله إلا الله».

عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**». [مسلم]

وعن مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لا يؤخذ كافر بشيء صنعه في كفره إذا أسلم، وذلك أن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

وعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيتُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت: ابسُط يمينَك فَلأُبايعْك. فبسط يمينه فقبضتُ يدي، قال: «**مالك؟**» قلت: أردتُ أن أشترط. قال: «**تشترط بماذا؟**». قلت: أن يُغفرَ لي. قال: «**أما علمتَ أن الإسلام يَهدم ما كان قبله**[1]**، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحجَّ يهدم ما كان قبله؟**». [مسلم]

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» هي شهادة ميلاد جديد، وإعلان عن نشأة أخرى، وحياة ثانية هي الحياة (الطيبة) التي قال الله ـ سبحانه ـ فيها: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ

(١) أي: من الكفر، والمعاصي إذا تاب منها، فيعود طاهرًا منها كحاله يوم ولدته أمه.

وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وسبب هذه الولادة الثانية[١] هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولذلك كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبًا للمؤمنين كما في قراءة عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ «وهو أب لهم» «أي في الدين؛ فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية؛ ولذلك صار المؤمنون إخوة، وأزواجُه أمهاتِهم، منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم»، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦]. وقال الرسول ـ صلى الله

(١) فلابد من الولادة مرتين كما قال المسيح ـ عليه السلام ـ للحواريين: «**إنكم لن تَلِجُوا ملكوتَ السماء حتى تُولَدوا مرتين**».

عليه وسلم ـ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ أعلمكم..» الحديث. [إسناده قوي]

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» شهادة ميلاد روحي ونفسي ووجداني وفكري وسلوكي ومنهجي جديد، وبنطقها لا تتبدل فقط خانة الديانة في بطاقة الهوية، لكن يصاغ به الإنسان صياغة جديدة، ويعاد ترتيب دولاب حياته من جديد.

وبشهادة أن «لا إله إلا الله» تتبدل المشاعر من أقصى طرف البغض والعداوة إلى أعلى درجات الحب والولاء.

هذه الولادة الثانية هي التي أخرجت إلى الوجود عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الذي كان ألد أعداء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذي كان يريد قتل هذا النبي، ثم أسلم فأصبح الفاروق عمر الذي ملأ الدنيا عدلًا وسعادة، ثم مرورًا بآل أبي سفيان وزوجه هند آكلة الأكباد والتي دفعت ثمنًا باهظًا لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ، والتي كانت تقول للرسول بعد أن أسلمت: «والله ما كان هناك بيت أبغض إلينا من بيتك، وها نحن الآن والله ما من بيت أحب إلينا من بيتك».

وما أكثر الذين تحقق فيهم هذا التحول المدهش من لدن عصر الرعيل الأول حتى يومنا هذا!

لقد حدث هذا على مستوى الأمم حيث أسلمت أمم بكاملها لله ـ تعالى ـ، وما حديث أمة (التتار) عنا ببعيد، إذ هي أمة غالبة قاهرة تُخضعها ديانة الأمة المغلوبة فتعتنق عقيدتَها، وترفع رايتها، وتولد من جديد.

وحدث على مستوى الأفراد، بحيث صار من الأخبار المألوفة منذ قرون حتى اليوم أن شخصًا يُشار إليه بالبنان في محاربته للإسلام وصده عن سبيل الله بكل ما أوتي من قوة، تدركه رحمة الله فيولد الولادة الثانية، ويتحول إلى جندي مجاهد، وداعية مجالد، يذب عن دين الله آناء الليل وأطراف النهار، وكأنه يكفِّر عما اقترف من تشويه للدين ومحاربة للتوحيد.

(٢٨) وصية الأنبياء عند الموت

قال الله ـ تعالى ـ في شأن خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، وهذا معنى: لا إله إلا الله، ولهذا قال بعدها: ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿ كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٨].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢، ١٣٣].

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعًا: **«إن نوحًا ـ عليه السلام ـ لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ، قال لابنه: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ لو وُضِعَتْ في كِفة، ووُضِعَتْ «لا إله إلا الله» في كفة**

رَجَحَتْ بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حَلْقَةً مُبْهَمَة[1] لَفَصَمَتْهُنَّ[2] لا إله إلا الله». [صحيح]

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [الأنعام:١٥١].

رُوي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ[3]، فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٥٣]».

(١) **مُبهمة**: المبهم من الأجسام: المُصْمَت.

(٢) **قَصمتْهُن**: وفي رواية: فصمتهن بالفاء، **والقصم**: كسر الشيء وإبانته، وبالفاء: كسره من غير إبانته.

(٣) قال بعضهم: معناه: من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كُتبت، وخُتِم عليها، فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى آخر الآيات، شبهها بالكتاب الذي كُتِبَ، ثم خُتِمَ فلم يُزَدْ فيه، ولم يُنْقَصْ.

(٢٩) النطق - عند الموت - بالشهادة

أعظم علامات خاتمة السعادة

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**من كان آخرَ كلامه لا إله إلا الله**[(١)]**، وجبت له الجنة**». [حسن]

وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**منْ ماتَ وَهُوَ يعلَمُ أنه لَا إلهَ إلَّا الله دخلَ الجَنَّة**». [مسلم]

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: «**مَا مِنْ عبدٍ قالَ (لَا إله إلا الله) ثُمَّ ماتَ علَى**

(١) علَّق الحافظ ابن حجر على هذا الحديث فقال ـ رحمه الله ـ: «والمراد بقوله «لا إله إلا الله» في هذا الحديث وغيره كلمتا الشهادة، فلا يرد إشكال ترك ذكر الرسالة. قال الزين بن المنير: قول «لا إله إلا الله» لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعًا»اهـ. من «فتح الباري» (٣/ ٦٧٦).

ذلـكَ إلَّا دخـلَ الجنَّة» قلـت: وإن زنى وإن سـرق؟[1] **قال: «وإنْ زنَـى وإن سَـرقَ»**، قلت: «وإنْ زنَى وإن سَـرقَ»، قال: **«وإنْ زنَى وإن سَرقَ»** قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **«وإنْ زنَى وإن سَرقَ على رَغمِ أنفِ أبِي ذَرٍّ»**. [متفق عليه]

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: **«يا بن آدم، لو أتيتني بقُراب**[2] **الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشـرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»**. [حسن]

(١) قال الحافظ ابن حجر: «وكأن أبا ذر استحضر قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (**لا يزنـي الزاني حين يزني وهو مؤمـن**) لأن ظاهره معارض لظاهـر هذا الخبر، لكن الجمع بينهما على قواعد أهل السُّـنة بحمل هـذا على الإيمان الكامل، وبحمل حديـث الباب على عدم التخليد في النار»اهـ. من «فتح الباري» (٣/ ٦٧٨).
وقـال الحافظ ابـن رجب ـ رحمـه الله ـ: «معناه: أن الزنى والسـرقة لا يمنعـان دخول الجنة مـع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، ليس فيه أنه لا يُعَذَّبُ عليهما مع التوحيد»

(٢) **قُراب الأرض**: ما يقارب ملأها.

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيُحجبَ عن الجنة**». [مسلم]

وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًّا من قلبه فيموتُ على ذلك إلا حرمه الله على النار: لا إله إلا الله**». [صحيح]

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مُوقِنٍ، إلا غفر الله لها**». [حسن]

وعن رفاعة الجُهَني ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**أَشهدُ عندَ الله لَا يَموتُ عبدٌ يَشهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا الله وأنِّي رسُولُ الله صدقًا مِن قَلبِهِ ثُمَّ يُسدِّدُ إلَّا سَلَكَ في الجنَّةِ**» الحديث. [صحيح]

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: أسندتُ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى صدري، فقال: «**مَنْ قَالَ لا إلهَ إلَّا الله ابتِغَاءَ وَجهِ الله خُتِمَ لهُ بِها دخلَ الجنَّةَ، وَمنْ صَامَ يومًا ابتغاءَ وَجهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخلَ الجنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصدَقةٍ ابتِغاءَ وَجهِ الله خُتِمَ لهُ بِهَا دَخلَ الجنَّةَ**». [صحيح]

وعن طلحة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**إني لَأعلمُ كلمةً لا يقولُها أحدٌ عند موتهِ إلا كانت نورًا لِصحيفته، وإنَّ جسدَهُ وروحَهُ لَيَجِدانِ لها رَوْحًا عند الموت**»، وفي رواية: سمعته يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عَبدٌ عند موته إلا أشرق لها لونُه، ونَفَّس الله عنه كربته**» قال: فقال عمر: إني لأعلم ما هي، قال: وما هي؟ قال: تعلمُ كلمةً أعظمَ من كلمةٍ أمر بها عمه عند الموت: «لا إله إلا الله»، قال طلحة: صدقت، هيَ والله هي. [صحيح]

من أجل ذلك قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله، قبل أن يُحال بينكم وبينها، ولقِّنوها موتاكم**»[1]. [حسن]

* * *

(١) وقد عَظَّم الإسلام شأن خواتيم الأعمال تعظيمًا شديدًا، لا سيما النطق بالشهادتين عند الموت، وقد فصَّلت ذلك في «الكلمة المقدسة» ص (٣١٣ ـ ٣١٦)، وذكرت طرفًا من قصص الموفَّقين إلى النطق بالشهادة عند حضور الموت، وأخبار بعض من خانه لسانه عند حضور الموت، فحِيل بينه وبين الشهادة ص (٣١٧ ـ ٣٢٨).

(٣٠) أثقل شيء في الميزان

عـن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**إن الله سيخلِّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجلًّا، كل سِجِلٍّ مثلُ مَدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يـا رب، فيقـول: أفلك عُـذْر؟ فيقول: لا يـارب، فيقول: «بلى، إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: أشـهد أن لا إله إلا الله، وأشـهد أن محمدًا عبده ورسـوله، فيقـول: احضَـرْ وزنَك، فيقـول: يـاربِّ! ما هذه البطاقـة مـع هـذه السـجلات؟ فقال: فإنـك لا تُظلـم، قال: فتوضـع السـجلات فـي كِفَّـة، والبطاقـة في كفة، فطاشـت السـجلاتُ وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسـم الله ـ تعالى ـ شيء**»[(١)]. [صحيح]

---

(١) ولا ريـب أنَّ هـذا قد قام بقلبـه من الإيمان ما جعـل بطاقته التي فيها «لا إلـه إلا الله» تطيـش بتلـك السِـجلَّات، إذ النـاس متفاضلون في =

قال الشاعر:

مهما تفكَّرتُ في ذنوبي خِفْتُ على قلبي احتراقَهْ
لكنه ينطفي لهيبي بذكر ما جاء في البطاقه

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**قال موسى: يارَبِّ، علمني شيئًا أذكرك به، وأدعوك به. قال: قل يا موسى: (لا إله إلا الله). قال: يارب، كل عبادك يقول هذا. قال: قل: (لا إله إلا الله). قال: إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى، لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع في كِفَّةٍ، و(لا إله إلا الله) في كِفَّةٍ، مالتْ بهم لا إله إلا الله**».

[صححه الحافظ ابن حجر]

* * *

= الأعمال بحسب ما يقوم بقلوبهم من الإيمان، وإلا فكم من قائل «لا إله إلا الله» لا يحصل له مثل هذا لضعف إيمانه بها في قلبه.

(٣١) نجاة من النار

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: أخبرني من شهد معاذ بن جبل حين حضرته الوفاة قال: اكشفوا عني سِجْفَ[١] القُبَّة، حتى أخبركم بحديث سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه ـ أو: يقينًا من قلبه، دخل الجنة، ولم تمسَّه النار**». [صحيح]

وعن عِتبان بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**إن الله حرَّم على النار**[٢] **من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**». [متفق عليه]

(١) **السَّجْف أو السِّجْف**: أحد السِّتْرين المقرونين، بينهما فُرْجَة، يقال: سَجَفَ البيت سَجْفًا: أرسل عليه السِّجْف.

(٢) وانظر معنى «تحريم النار على من قال: لا إله إلا الله» في «الكلمة المقدسة» ص (٣٣٦).

وفي رواية عنه ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**لن يُوافِيَ عبْدٌ يوم القيامة يقُولُ: «لا إله إلا الله» يبتغي به وجه الله؛ إلا حرم الله عليه النار**».

[البخاري]

وعن أبي هريرة وأبي سعيد ـ رضي الله عنهما ـ، أنهما شهدًا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**إذا قال العبد: «لا إله إلا الله»، والله أكبر، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: «لا إله إلا الله» لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا شريك لي، وإذا قال: «لا إله إلا الله»، له الملك، وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ليَ الملك، وليَ الحمد، وإذا قال: «لا إله إلا الله»، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي، من رُزِقَهُنَّ عند موته لم تمسَّه النار**». [صحيح]

وعـن أنس بن مالـك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان غلام يهـودي يخـدم النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ فمرض فأتاه النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ يعوده فقعد عند رأسـه فقال له: «**أَسْلِمْ**» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ـ صلى الله عليه وسـلم ـ فأسـلم، فخـرج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقول: «**الحمدُ لله الذي أنقذهُ من النار**».

[البخاري]

* * *

(٣٢) نجاة من الخلود في النار

عـن أبـي هريـرة ـ رضـي الله عنـه ـ قـال رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**من قال: لا إله إلا الله، أنجته يومًا من دهره، أصابه قبل ذلك ما أصابه**». [صحيح]

والموحِّـدون ـ وإن أُدخِلـوا النار بذنوبهـم التي ماتوا ولم يتوبـوا منها ـ لكنهم لا يخلدون فيهـا، ويخرجون منها إلى الجنة.

وفـي حديـث أنـس بن مالـك ـ رضـي الله عنـه ـ في الشـفاعة في آخره قال صلى الله عليه وسلم: «.... **ثُمَّ أَعُودُ الرَّابعـةَ فأحمـدُه بتلك المحامدِ ثـم أَخِرُّ له سـاجدًا، فَيُقالُ: وَعِزَّتـي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله**». [متفق عليه]

وعن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**يوضَعُ الصراطُ بين ظهري**

جهنم عليه حَسَكٌ كحسك السَّعْدانِ[1]، ثم يَستجيزُ الناسُ فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومَجْروحٌ به، ثم ناجٍ ومُحْتَبَسٌ به، فمَنكُوسٌ فيها، فإذا فرغ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من القضاء بين العباد، يفقد المؤمنون رجالًا كانوا معهم في الدنيا يُصَلون بصلاتهم، ويُزَكون بزكاتهم، ويصومون صيامَهم، ويحجون حَجَّهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربَّنا عبادٌ من عبادِكَ كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حَجَّنا، ويغزون غزونا لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، قال: فيجدونهم قد أخذتهم النارُ على قدر أعمالهم، فمنهم من أخَذَتْهُ إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أَزَّرَتْهُ، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تَغْشَ الوجوهَ، فيستخرجونهم منها، فيُطرَحون في ماء الحياة» قيل: يا رسول الله! وما ماء الحياة؟ قال: «غُسْلُ أهل الجنة،

(١) حَسَك: جمع حَسَكة، وهي شوكة صُلبة، والسعدان: نبت ذو شوك.

فينبتون نباتَ الزَّرْعةِ ـ وقال مرةً فيه: كما تنبت الزرعة ـ في غُثاءِ السيل، ثم يَشْفَعُ الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا، فَيُخرجونهم منها، قال: ثم يتحنَّنُ الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقالُ حَبةٍ من إيمان إلا أخرجه منها». [حسن]

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القِبلة، قال الكفارُ للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام! فقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخِذْنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بمَن كان في النار من أهل القبلة فأُخرِجوا، فلما رأى ذلك مَن بقى مِن الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين، فنخرج كما خرجوا**». قال: ثم قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾. [صحيح]

(٣٣) مغفرة للذنوب، وكفارة للخطايا

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

وقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ الآية [الأنفال:٣٨].

وعن ابن شِماسة أنَّ عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: لمَّا ألقى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في قلبي الإسلامَ، قال: أتيتُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليبايعني، فبسط يده إليَّ، فقلت: لا أُبايعُك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدَّم من ذنبي. قال: فقال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**يا عمرو، أما عَلِمْتَ أن الهجرةَ تجُبُّ ما قبلها من الذنوب، يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبلَه من الذنوب؟**». [صحيح على شرط مسلم]

وعن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيخٌ كبير يَدَّعِمُ[1] على عصًا له، فقال: يا رسول الله، إن لي غَدَرَاتٍ وفَجَراتٍ فهل يُغفر لي؟ قال: «**ألستَ تشهَدُ[2] أن لا إله إلا الله؟**» قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله، قال: «**قد غُفِرَ لك غَدَراتُكَ وفَجَراتُكَ**». [صحيح بشواهده]

ورُوي عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبعض أصحابه: «**ارفعوا أيديَكم، وقولوا: لا إله إلا الله**» فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده، ثم قال: «**الحمدُ لله، اللهُمَّ بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتَني بها، ووعدتَني عليها الجنة، وإنَّك لا تُخلف الميعاد**» ثم قال: «**أبشروا، فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد غفر لكم**».

[ضعيف]

(١) **يَدَّعِم**: يتكئ.
(٢) أي: أما أسلمتَ بعد ذلك؟

(٣٤) سبب لاستحقاق الشفاعة

إن التوحيد المتضمنَ إخلاصَ العبادة لله ـ تعالى ـ هو أعظم سبب تُنال به الشفاعة[١] يوم القيامة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولُ منك لِما رأيتُ من حرصِك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه**». [البخاري]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام غزوة تبوك قام من

(١) والشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله بها مَن يرحم مِن عباده، وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله» علمًا وعقيدة، وعملًا وبراءةً، وموالاةً ومعاداةً: كان أحق بالرحمة.

الليـل يصلي، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسـونه، حتـى إذا صلى وانصـرف إليهم، فقـال لهم: «**لقـد أُعْطِيتُ الليلـةَ خمسًـا مـا أُعْطِيَهُـنَّ أحـدٌّ قبلـي**» الحديـث، وفيـه: «**والخامسـة هيَ ما هيَ، قيل لي: سَلْ، فإن كلَّ نبيٍّ قد سأل، فأخَّرتُ مسـألتي إلى يـوم القيامة، فهي لكم ولمن شـهد أن لا إله إلا الله**». [حسن]

وعـن أبي هريـرة ـ رضـي الله عنه ـ قال رسـول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ: «**لكل نبيٍّ دعوة مسـتجابة، فتعجَّل كل نبـيٍّ دعوتـه، وإنـي اختبأتُ دعوتـي شـفاعةً لأمتي يوم القيامـة، فهـي نائلة إن شـاء الله من مات من أمتي لا يشـرك بالله شيئًا**». [مسلم]

* * *

(٣٥) سبب دخول الجنة

عـن جابر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ أنه قال: «**المُوجِبتانِ: من مات لا يُشـرك** بالله **شـيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك** بالله **شيئًا دخل النار**».

[مسلم]

وعن أبي أمامة بن سـهل بن حنيـف ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**بَشِّر الناس أنه من قال: (لا إله إلا الله)، وجبت له الجنة**». [صحيح]

وعن أبي هريرة أو أبي سـعيد ـ رضـي الله عنهما ـ أن رسـول الله ـ صلـى الله عليه وآله وسـلم ـ قال: «**أشـهد أن لا إلـه إلا الله، وأني رسـول الله، لا يلقـى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيُحْجَبَ عن الجنة**».

[مسلم]

وعـن عبـادة بـن الصامـت ـ رضـي الله عنـه ـ قـال رسـول الله ـ صلـى الله عليـه وسـلم ـ: «**مـن شـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله،**

وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجنةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ أدخله الله الجنةَ على ما كان من العمل».

وفي رواية: «**أدخله الله الجنة مِن أي أبواب الجنة الثمانية شاء**». [متفق عليه]

* * *

(٣٦) مفتاح الجنة

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» هي عُنوان دخول المرء في دين الإسلام، وهي ـ بمقتضياتها وتوابعها ولوازمها ـ مفتاح الجنة في الآخرة.

رُوي عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**مفاتيح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله**». [ضعيف]

وعن أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيُبلغ ـ أو: فيُسبغُ ـ الوضوء، ثم يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله)، إلا فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**». [مسلم]

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق،**

والنـار حـق، وأن الله يبعث من في القبـور، فُتِحَتْ له ثمانيةُ أبوابِ الجنة يدخل من أيها شاء». [متفق عليه]

ورُوِيَ في حديث عبد الرحمن بن سـمرة ـ رضي الله عنـه ـ في قصـة منامه الطويـل أنه ـ صلى الله عليه وسـلم ـ قال: «**ورأيتُ رجلًا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فَغُلِّقَتِ الأبوابُ دونَه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، فأَخَذَتْ بيده، فأدخلتْه الجنةَ**». [ضعيف]

قـد يغفل بعـض الناس عـن حقيقـة التوحيد وشـرط النجـاة، ويغتـرُّ بكلمـة يديرهـا علـى لسـانه، دون أن يفقـه معناهـا، يظنُّها مفتاحًا للجنة، بمجرد نطقها باللسـان، غافلًا عـن شـروطها التـي ينبغـي أن تتحقـق[1]، ومقتضياتها التي

(١) فـإن شـهادة التوحيد هذه، سـببٌ لدخـول الجنة، والنجـاة من النار، ومقتـضٍ لذلـك، ولكـن المقتضِـيَ لا يعمـلُ عملَـه إلا باسـتجماع شـروطه وانتفـاء موانعه، فقـد يتخلَّف عنه مقتضاه لفواتِ شـرطٍ من شـروطه، أو لوجـود مانعٍ من الموانـع؛ وهذا قول الحسـن البصري ووهب بن منبِّه، رحمهما الله.

ـ قـال الحسـن البصري ـ رحمه الله ـ للفرزدق وهـو يدفن امرأته: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شـهادةَ أن لا إله إلا الله منذ سـبعين سـنة، قال الحسـن: «نِعْمَ العُدَّة! إن لـ(لا إله إلا الله) شروطًا، فإياك وقذفَ =

ينبغي أن يعمل بها، لتكون مفتاحًا صالحًا لفتح أبواب الجنة الثمانية.

❊ ❊ ❊

= المحصنات»، ورُوِيَ أنه قال للفرزدق «هذا العمودُ فأين الطنب»، **والطُّنُب**: حبل يُشد به الخباء والسرادق ونحوهما.

ـ وقيل للحسن البصري: إن ناسًا يقولون: من قال «لا إله إلا الله» دخل الجنة قال: «من قال: لا إله إلا الله فأدى حقَّها وفرضَها دخل الجنة».

وحقها وفرضها هي شروط «لا إله إلا الله»، والشروط من حقها وفرضها.

ـ وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة؟ قال: «بلى ولكن ليس مفتاحٌ إلا له أسنان، فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يفتح لك»

والأسنان والشروط بمعنًى واحدٍ.

وقد نظم بعضهم شروط «لا إله إلا الله» فقال:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقها مـ ـعْ محبةٍ وانقيادٍ والقبولُ لها

الخاتمة

نسأل الله حُسْنَها، إذا بلغت الروح المنتهى

والآن أحسبك ـ أخي المكرم ـ قد أدركت سِرَّ عظمة هذه الكلمة الطيبة المباركة: «لا إله إلا الله»، و أنها في حقيقتها: (منهج حياة).

- وأحسبك أيقنت أنها تستحق أن تجعلها محور حياتك، وأن تعيش بها، فتحسن فهمها، وتلتزم شروطها، وتجتنب نواقضها، وتؤدي حقوقها.

- وأنها تستحق أن تعيش لها فتجعلها رسالتك في الحياة، كما فعل مِن قبلك الرسل والأنبياء والصديقون والدعاة المصلحون، الذي أمر الله سيدَهم وخيرهم ومقدَّمَهم محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلنها لكل البشر في وضوح وشموخ، وثقة واعتزاز: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

- إن «لا إلـه إلا الله» هـي حقيقـة الحقائـق فـي هـذا الوجـود، وإن أهـل «لا إلـه إلا الله» المخلصيـن فيهـا، والعامليـن بهـا، والمجاهديـن فـي سـبيلها هم حَمَلَـةُ هذه الحقيقـة، ابتعثم الله ليُخرجوا البشـرية التائهة من الظلمات إلـى نـور «لا إلـه إلا الله»، اصطفاهـم الله ليغيـروا (الأمـر الواقع) لا لكي يخضعوا له مع الخاضعين.

إن المسـلم لم يُخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خُلق ليوجِّه العالم والمجتمع والمدنيـة، خُلِـق ليفرض على هذه البشـرية التائهة اتجاهه، ويُملـي عليهـا إرادته، لأنه صاحب رسـالة «لا إله إلا الله»، وصاحـب العلـم اليقيـن بحقائـق الوجـود الكبـرى، فهـو المؤهـل ـ بكل جـدارة ـ لأن يكون مسـئولًا عن هذا العالم وسـيره واتجاهـه، ولذلك فإن اللائق بـه لا يمكن أن يكون مقـام التقليد والتبعيـة، إن منصبه اللائقَ بـه منصبُ الإمامة والقيـادة، ومقـام الإرشـاد والتوجيـه، والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، قـال ـ تعالـى ـ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

فإذا تنكرتْ له الدنيا، وعصاه الناس عن الجادة، لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويهادن الفتن، بل عليه أن يثور عليها، وينازلها،ويظل في صراع معها وعراكٍ حتى يقضيَ الله في أمره.

إن الخضوع للأحوال الخاسرة، والاستكانة للأوضاع القاهرة، والاعتذار بالقضاء والقدر ـ في غير محله ـ من شأن الضعفاء والأقزام، أما المؤمن القوي ـ المؤيَّد بروحٍ من الله ـ فهو بنفسه قضاءُ الله الغالب، وقدره الذي لا يُرد، فبإيمانه بأن «لا إله إلا الله» يَلين له الحديد، ويَقْرُب منه البعيد، لأنها مصدر طاقته، ومنبع حركته:

إنما التوحيدُ إيجابٌ وسَلْبٌ
فهما في النفس عزم ومَضاءْ
«لا» و«إلَّا» قوةٌ قاهرة
لها فِي النفس فِعلُ الكهرُباءْ

إن ما يسمى (الأمر الواقع) سوف يظل في ميزان إسلامنا الحنيف باطلًا منقوضًا مهما طال العهد عليه، لأن تلك سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، والمعاند لها هالك لا محالة، فالحق واحد لا يتغير، ومهما يتقادم العهد على الباطل فسيظل باطلًا، وسيظل الحق هو هو ـ وإن حادَ عنه كل الناس ـ مهما يجر العمل على غير الحق، لأن الباطل زهوق لا تدوم له دولة، والحق هو ناموس الله الذي لا يتبدل:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

[الإسراء:٨١]

وآخر دعوانا أن ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

المحتويات

المقدمة ٧

(١) ركن الإسلام الأعظم ١٣

(٢) دِعاية الإسلام ١٥

(٣) حق الله على العباد ١٧

(٤) أولُ واجبٍ على المكلَّف ١٩

(٥) عاصمة الدم والمال ٢٢

(٦) أعلى شُعَبِ الإيمان وأفضلُها ٢٥

(٧) شرط في العمل الصالح ٢٦

(٨) رُوح الإيمان، وسر حياته ٢٩

(٩) مضمونُ الوحيِ الشريف وقُطْبُ رَحاه ٣٤

(١٠) مجددة الإيمان ٣٧

(١١) زكاة النفوس، وطهارة القلوب ٤٠

ذكر الدليل على نجاسة المشركين ٤٠

(١٢) أعظم نعمة على المَهْدِيّين إليها ٤٨

(١٣) أفضل الذكر ٥٥
(١٤) من الباقيات الصالحات ٥٧
(١٥) اسم الله الأعظم ٥٩
(١٦) لا يحجبها عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ شيء ٦٢
(١٧) مِفتاح دعوة الرسل - عليهم السلام - ٦٣
(١٨) القاسم المشترك الأعظم بين جميع الرسالات السماوية ٦٦
(١٩) ملة إبراهيم الحنيفية ٧١
(٢٠) هي الدين المقبول عند الله ٧٧
الحقيقة التي اتفق عليها المسلمون واليهود والنصارى ٧٨
من هنا يتقرر أمور: ٩١
الأول: خطأ إطلاق «الموسوية» و«المسيحية» و«المحمدية»
على دين الإسلام ٩١
الثاني: خطأ إطلاق عبارة «الأديان السماوية» بصيغة الجمع .. ٩١
جواز إطلاق «الرسالات» أو «الشرائع» السماوية بصيغة الجمع ٩١
الثالث: العقيدة الصحيحة لا توجد إلا في الإسلام ٩٢

(٢١) مقتضى فطرة الله، ومقتضى الميثاق القديم ٩٣
الأدلة الشرعية على فطرية الإسلام ٩٥
المقصود فطرية الإسلام بمعناه العام ١٠٩
بيان معنى: «أن الفطرة تقتضي الإسلام» ١١٠
(٢٢) محور الصراع في تاريخ البشرية ١١٢
(٢٣) ميثاق المحبة ١١٥
(٢٤) صرخة الحرية، وثورة على العبودية ١٢١
تفاوت الناس في فهمهم للحرية: ١٢٢
الحرية في المفهوم الغربي ١٢٣
المفهوم الصحيح للحرية ١٢٥
درجات الأحرار ١٣٤
أسير لكنه حر: ١٣٨
العداوة بين الوحي والهوى ١٤٠
تحريرُ التوحيدِ الإنسانَ من عبودية المناهج والأفكار والتشريعات ١٤٣
مظاهر أخرى لتحرير التوحيد للبشر ١٤٧

(٢٥) الرابطة الحقيقية بين أهل الإسلام ١٥٦
(٢٦) شعار الإسلام الباقي بعد اندراس الشرائع ١٦٦
(٢٧) ميلاد جديد ١٦٨
(٢٨) وصية الأنبياء عند الموت ١٧٣
(٢٩) النطق - عند الموت - بالشهادة أعظم علامات خاتمة
السعادة ١٧٥
(٣٠) أثقل شيء في الميزان ١٨٠
(٣١) نجاة من النار ١٨٢
(٣٢) نجاة من الخلود في النار ١٨٥
(٣٣) مغفرة للذنوب، وكفارة للخطايا ١٨٨
(٣٤) سبب لاستحقاق الشفاعة ١٩٠
(٣٥) سبب دخول الجنة ١٩٢
(٣٦) مفتاح الجنة ١٩٤
الخاتمة ١٩٧

* * *